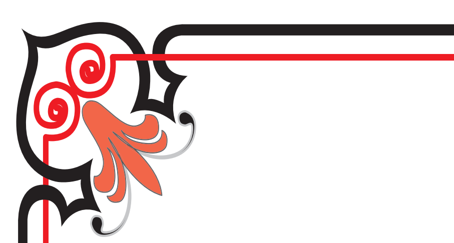




لكتاب

(ثلاثة الأصول)

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم







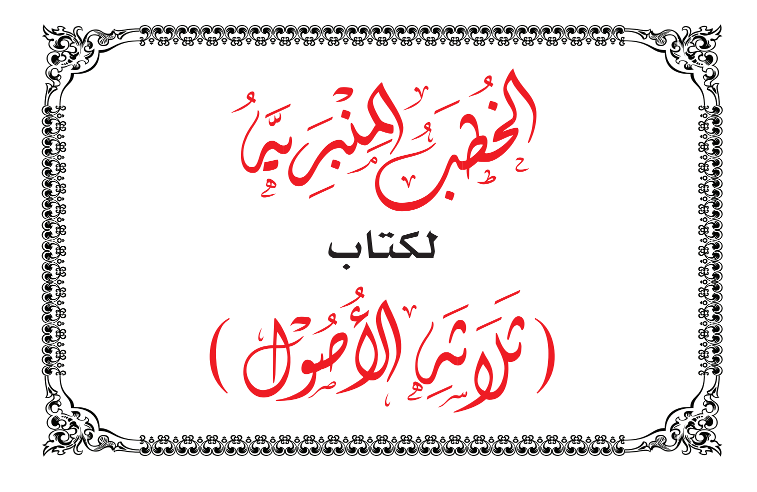
ح دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك محمد
الخطب المنبرية لكتاب الثلاثة الأصول. / عبد الملك محمد
القاسم. - الرياض - ١٤٣٩هـ
٢٢٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٣ - ٧٨٠ - ٥٣ - ٩٩٦٠
١- الخطب الدينية ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٣٩/٦٦١٧

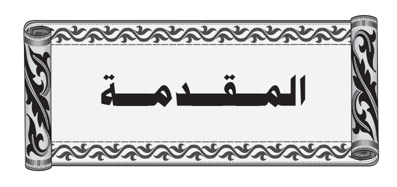
رقم الإيداع: ٦٦١٧ / ١٤٣٩
ردمك: ٣ - ٧٨٠ - ٥٣ - ٩٩٦٠

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

المكتب الرئيس هاتف ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس ٤٠٣٣١٥٠
فروع دار القاسم
الربوة هاتف ٤٤٥٠٤٥ فاكس ٤٤٥٠٤٥
الدمام هاتف ٨٤٣١٠٠٠ فاكس ٨٤١٣٠١١
موقعنا على الإنترنت www.dar-alqassem.com
البريد الإلكتروني sales@dar-alqassem.com.


بسم الله الرحمن الرحيم


الخُطَبُ المِنْبَرِيَّة
لكتاب
(ثَلاثَةِ الأُصُول)



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فإن رسالة (ثلاثة الأصول) للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ رسالة شاملة جامعة موجزة في موضوع توحيد الربوبية، والألوهية، والولاء والبراء، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بعلم التوحيد.

وثلاثة الأصول التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ؛ هي الأصول التي يسأل عنها الإنسان إذا وضع في قبره وهي:

الأصل الأول: معرفة الإنسان ربه.

الأصل الثاني: معرفة الإسلام بالأدلة.

الأصل الثالث: معرفة نبينا محمد ﷺ.

وقد جدَّ الناس في حفظها، وتوالت شروحاتها؛ لعظم نفعها ونفاستها، وسهولة معانيها، ورصانة مبانيها.

وسبق أن يسر الله وألَّفت خطباً «لكتاب التوحيد»، وكذلك «كشف الشبهات» و«نواقض الإسلام» و«الأربعون النووية» ولِما رأيت من النفع، ولِما أرجوه من الخير لي وللمسلمين، جعلت هذه الرسالة خطباً مرتبة مختصرة مفيدة، تقع في (ثلاثٍ وعشرين) خطبة، وقدمت قبلها بخطبة عن فضل التوحيد.

أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلها صواباً خالصاً لوجهه الكريم.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم



١ الخطبة الأولى(١)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وحادياً إلى جناته، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير خلق الله ودعاته، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون: التوحيد أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، نصبت عليه القبلة وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس. ولأجله أعدت دار الثواب ودار العقاب، وأمرت الرسل بالجهاد.

وإن أزكى الكلام، وركن الإسلام، ومفتاح دار السلام: لا إله إلا الله. ما تعطرت الأفواه، وتحركت الشفاه، بأحسن منها.

وجميع الشرائع مبناها على هذه الكلمة، والدين كله من حقوقها، والثواب كله عليها، والعقاب كله على تركها أو التقصير فيها. كلمة عالية المنازل، كثيرة الفضائل، فهي رأس الإسلام مطلقاً، وأول أركانه ومبانيه

---

(١) فضل كلمة التوحيد.

العظـام، وعليها تقوم جميـع الأركان، وهي ركن الإيمـان بالله وجانبه الأعظم، فلا يصح الإيمان بدونها، ولا يستقيم إلا عليها.

شهد الله بها لنفسه؛ وأشهد عليها أفضل خلقه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذه أجلُّ شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجلِّ شاهد بأجلِّ مشهود به».

وهـي كلمة التقوى، التي اختص الله بها أولياءه، قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦] رواه الحاكم عن علي موقوفاً.

وهي الكلمة الطيبة، ضرب الله لها في كتابه مثلاً؛ فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وبها انشراح الصدر، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. قال ابن جريج ـ رحمه الله ـ: «بلا إله إلا الله».

وبها سـلامة القلب، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ـ٨٩]. قـال ابن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ: «القلب السليم: أن يشهد أن لا إلا الله».

وهـي دعوة الحق الذي لا باطل فيه، والقول السـديد الذي لا اعوجاج فيه. وشـهادة صـدق لا كذب فيهـا، وهي المثل الأعلى الذي اختص الله بـه دون خلقه، وهي الكلمة الباقية في عقب إبراهيم ـ عليه السـلام ـ : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨].

عباد الله: لا إله إلا الله، أعظم نعمة على الخلق، قال سبحانه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: «ما أنعم الله على العباد نعمة؛ أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله».

بها أرسل الله الرسل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وبها نزلت الملائكة على الأنبياء والمرسلين: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢].

وبها كلم الله ـ عز وجل ـ نبيه موسى ـ عليه السلام ـ كفاحاً: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤].

وهي كلمة الله العليا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وهي القول الثابت؛ الذي يثبت الله به المؤمن في القبر، حال سؤال الملكين: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] [رواه البخاري].

ولا إله إلا الله؛ يسأل عنها جميع الخلق: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣].

وهي العهد في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧]. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

وهي الحسنى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٦ ـ ٧].

وهي العروة الوثقى، التي من تمسك بها نجا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهي أحب الكلام إلى الله، قال ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» [رواه مسلم].

وهي كلمة تعدل الدنيا وما فيها، قال ﷺ: «**لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**» [رواه مسلم].

وكلمة التوحيد ـ عباد الله ـ، مفتاح لأبواب الجنة. قال ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء**» [رواه مسلم].

وهي سبب لدخول الجنة. قال ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**» [رواه مسلم].

وهي سبب النجاة. سمع النبي ﷺ مؤذناً يقول: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال: «**خرجت من النار**» [رواه مسلم].

ولا إله إلا الله؛ آخر ما يخرج به المسلم من الدنيا. قال ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**» [رواه مسلم]. «**ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة**» [رواه أحمد وأبو داود]. «**ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**» [رواه مسلم]. «**وأسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ، من قال: لا إله إلا الله؛ خالصاً من قبل نفسه**» [رواه البخاري].

أيها المسلمون: وكلمة التوحيد؛ هي أفضل ما يعده الإنسان لملاقاة ربه، كما قاله عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، وهو يجود بنفسه. [رواه مسلم].

وكلمة التوحيد، تفتح لها أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش: «**ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش، ما أجتنب الكبائر**» [رواه الترمذي].

«**والإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله**» [رواه مسلم].

وهي عصمة للدماء: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله**» [رواه البخاري].

وهي خير ما قاله النبيون: «**خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» [رواه الإمام مالك مرسلاً].

وهي مبدأ الأذان وختامه، و«**من قالها من قلبه إذا ختم المؤذن أذانه، دخل الجنة**» [رواه مسلم].

و«**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً؛ غفر له ذنبه**» [رواه مسلم].

وهي تعدل عتق الرقاب، وحرز من الشيطان في كل يوم: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير: في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب؛ وكتبت له مائة حسنة؛ ومحيت عنه مائة سيئة؛ وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك**

حتى يمسي؛ ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به؛ إلا أحد عملاً أكثر من ذلك» [رواه البخاري ومسلم].

«ومن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرات: كان كمن أعتق أربع أنفس من ولد إسماعيل» [رواه البخاري ومسلم].

وأخرج أحمد والترمذي، أن النبي ﷺ قال: **«إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة؛ والبطاقة في كفة؛ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»**.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وليس كل من تكلم بالشهادتين؛ كان بهذه المثابة، لأن صاحب البطاقة، كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص؛ ما أوجب أن عظم قدره حتى صار راجحاً على هذه السيئات». انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم؛ ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن شهادة التوحيد سبب للنجاة من النار: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله حرم عليه النار**» [رواه مسلم].

وبها يخرج الموحدون من النار، بعد أن يعاقبوا بقدر ذنوبهم، كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه.

والنطق بكلمة التوحيد،لا يكفي للدخول في الإسلام أو البقاء عليه، بل يجب مع ذلك؛ أن يكون المسلم عالماً بمعناها، عاملاً بمقتضاها؛ من إثبات الوحدانية لله، ونفي الشرك. فلا تكون منجية إلا لمن استكمل شروطها وانتفت عنه موانعها.

قال ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله، دخل الجنة**» [رواه مسلم].

فدل على أن العلم مرتبة زائدة على القول تقتضي العمل.

قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ: «باب من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله»؛ وقيل لوهب بن منبه: «أليس لا إله إلا الله؛ مفتاح الجنة؟ قال: بلى؛ ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان؛ فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك؛ وإلا لم يفتح لك».

اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتوفنا وأنت راض عنا يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

اللهــم جنبنا وذرياتنا عبادة الأصنام. اللهــم ارزقنا قبل الموت توبة، وعنــد الموت شــهادة، وبعد المــوت جنة ونعيما. اللهــم أحينا على الإسلام ســعداء، وتوفنا على التوحيد شهداء، واحشرنا في زمرة الأنبياء، ولا تشمت بنا الحاسدين والأعداء.

هذا وصلوا وسلموا على من بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، فقد أمركم بذلك في كتابه الكريم؛ فـقـال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]. اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين وعنَّا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

عباد الله:

إن الله يأمر بالعدل والإحســان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغــي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكــروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه وآلائه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون[١].

---

(١) كان من هدي النبي ﷺ أنه يقرأ في صلاة الجمعة بسورتي «سبح اسم ربك الأعلى» و«الغاشية» أو بسورتي «الجمعة» و«المنافقون» أو بسورتي «الجمعة والغاشية» كما روى ذلك الإمام مسلم.

٢ 

الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله للناس كافة بشير ونذيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

التوحيد أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، نصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة،ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس، ولأجله أعدت دار الثواب، ودار العقاب،وأمرت الرسل بالجهاد.

وهذه الخطبة وما بعدها؛ هي من رسالة مختصرة باسم (الأصول الثلاثة) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب حيث ابتدأ ـ رحمه الله تعالى ـ رسالته بالبسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اقتداءً بكتاب الله ـ تعالى ـ، واتباعاً لسنة النبي ﷺ في قوله وفعله؛ وعملاً بحديث «**كل**

(١) معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

أمر ذي بال» أي حال وشــأن يهتم به شرعاً،«**لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيــم فهو أقطع**» وفي رواية: «**أجـذم**» وفي رواية: «**أبتر**» والمعنى: أنه ناقــص البركة؛ والبداءة بها للتبرك، والاســتعانة على ما يهتم به، واقتصر على البســملة لأنها من أبلغ الثناء والذكر، وللخبر. والأئمة تارة يبتدئون بالحمدلة، وتارة بالبســملة، وتارة يجمعون بينهما اقتداء بكتاب الله ـ عز وجل ـ؛ لأنه تعالى بدأ كتابه بالبسملة ثم الحمد لله رب العالمين.

(بســم الله) لفظ الجلالة علم على الباري ـ جل وعلا ـ، وهو الاســم الذي تتبعه جميع الأسماء.

(بسم الله) الباء للاســتعانة، والتبرك؛ أي: أبدأ كتابي مستعيناً بالله، متبركاً باسمه العظيم واقتداءً بكتاب الله، فكل سورة تبدأ بالبسملة عدا سورة التوبة.

(الرحمن) اســم من الأسماء المختصة بالله ـ عز وجل ـ لا يطلق على غيره، والرحمن معناه المتصف بالرحمة الواسعة. ومن آثار رحمته بعباده أن أرســل لهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وســخر لهم الليل والنهار. ﴿وَمِــن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡــكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٣]، وأنزل عليهم الأمطار ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨].

(الرحيــم) ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين، هداهــم إلى الحق في الدنيا ويجازيهم الجزاء الأوفى في الآخرة ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

و(الرحيم) يطلق على الله وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواصلة.
فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة.

قال المؤلف: (اعْلَمْ) وتيقن وأجزم وارع سمعك لما يأتي. (والعلم) هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

(اعلم رَحِمَكَ الله) دعاء وتلطف بالسامع، وهو دعاء من المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يدل على محبته وشفقته، وأنه راغب في حصول الخير، والمعنى: غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل، وقد جمع ـ رحمه الله ـ بين التعليم والدعاء. وهذا أدعى للقبول والاستماع. والدعاء مطلوب من المسلم لأخيه المسلم.

وقوله (رحمك الله تعالى) أي: المألوه المعبود، وهو العلم الأعظم اسم الله سبحانه وتعالى، أي: له علو المكان وعلو القدر وعلو القهر، له ثلاثة أنواع العلو فهو العلي العظيم سبحانه وتعالى.

(أَنَّهُ يَجِبُ) وجوباً (عَلَيْنَا) نحن المكلفين (تَعَلُّمُ) أي؛ تحصيل العلم وطلبه، والوجوب هنا الوجوب العيني، وهو ما يجب أداؤه على كل مكلف بعينه، وما قرره المؤلف هنا من أصول الدين كله، حقيق أن يُهتم به غاية الاهتمام، ويعتنى به أشد الاعتناء لعظم نفعها. فهو يلزم كل فرد من أفراد المكلفين، ذكراً كان أو أنثى، حرّاً أو عبداً. وإن لم يتعلمها فإنه آثم، لأن الواجب هو ما يُثاب فاعله ويعاقب تاركه.

(تعلم أَرْبَعَ مَسَائِلَ):

المسألة (الأُولَى) من المسائل الأربعة: (الْعِلْمُ): وهو معرفة الهدى

بدليله؛ والمراد به العلم الشرعي، وهو على قسمين: فرض عين، وفرض كفاية؛ وما ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هو فرض عين. وفي الحديث عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: «**طلب العلم فريضة**» وقال الإمام أحمد: «يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه، قيل له مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله صلاته وصيامه، ونحو ذلك».

(وَهُوَ) أي العلم (مَعْرِفَةُ اللهِ) أي: معرفة الله ـ عز وجل ـ بالقلب؛ معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد ﷺ.

وقد فسر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ العلم الذي لا بد من تعلمه بأنه يتناول ثلاثة أمور، وهي (الأصول الثلاثة) فقال: (وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام) أي؛ معرفة المرسل، ومعرفة الرسول، ومعرفة الرسالة؛ وخص هذه الأمور، لأنها أصول الإسلام التي لا يقوم إلا عليها، وهي التي يُسأل عنها العبد في قبره، فالإنسان إذا عرف ربه، وعرف نبيه، وعرف دينه الإسلام بالأدلة، كمل له دينه. ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات التي كلما نظر فيها الإنسان ازداد علماً بخالقه ومعبوده، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [الذاريات: ٢٠]. ويتعرف العبد إلى ربه بما تعرف به إلينا في كتابه وسنة رسوله من أسمائه وصفاته وأفعاله. وكذلك بما أعطى لأنبيائه من آيات مثل ما جرى لإبراهيم حين ألقي في النار، والعصا لموسى، وكذلك انشقاق القمر لمحمد ﷺ ونبع الماء بين يديه، وأعظمها

القرآن العظيم باق محفوظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان صالح لكل زمان ومكان.

عباد الله: ومعرفة الله ـ تعالى ـ والإقرار بوجوده أمر ضروري فطري؛ لأن الله قد أودع في قلوب جميع الإنس والجن الإقرار بالله وبربوبيته.

قال ابن تيمية: «جمهور العقلاء مطمئنون إلى الإقرار بالله ـ تعالى ـ، وهم مفطورون على ذلك، ولهذا إذا ذكر لأحدهم اسمه ـ تعالى ـ وجد نفسه ذاكراةً له مقبلة عليه، كما إذا ذكر له ما هو معروف عنده من المخلوقات».

والعلم بالله ـ عز وجل ـ هو العلم بأنه ـ سبحانه ـ المستحق للعبادة وحده لا شريك له. وهو العلم بأسمائه وصفاته، وأنه فوق العرش، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والعلم بأن الله هو الرب وغيره مربوب، وأنه الخالق وغيره مخلوق، وأنه المالك والمدبر.

(وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ) أي؛ معرفة رسوله محمد ﷺ المعرفة التي تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق، وكذلك محبته واقتفاء أثره وسيرته.

ومعرفة حقوقه، فرض على كل مكلف، وأحد مهمات الدين؛ فإنه الواسطة بيننا وبين الله ـ عز وجل ـ في تبليغ رسالته. وذلك بأن يعرف أن نبيه محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليهم السلام ـ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، ويدخل في معرفته طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتحكيم شريعته، والرضا بحكمه، قال تعالى: ﴿فَلَا

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١] قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا أراد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك».

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩] وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، قال ابن تيمية: «أسعد الخلق وأعظمهم نعيماً، وأعلاهم درجة؛ أعظمهم اتباعاً وموافقة له ﷺ علماً وعملاً».

ثم قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ) وهو الدين الذي بعث الله به محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] وهذا الإسلام هو الدين الذي امتن الله به على محمد ﷺ وأمته، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣] والمراد بمعرفته هو التعبد لله ـ عز وجل ـ بما شرع، ومعرفته، والعمل به، لأنه سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار.

وسمي الإسلام بما فيه من الاستسلام والانقياد والطاعة، وجهل

الإنسان حقيقة ما أمر الله به من أعظم الإثم، والعمل بغير علم طريق النصارى، والعلم بلا عمل طريق اليهود، وقد أمرنا الله ـ عز وجل ـ أن نسأله في كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم، وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)

الأدلة: جمع دليل، وهو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة إلى معرفة دين الإسلام تشمل الأدلة الفطرية والعقلية والحسية، والأدلة السمعية النقلية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. وقد أكثر الله ـ عز وجل ـ من ذكر هذا في كتابه الكريم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

المسألة (الثَّانِيَةُ): الواجب على المسلم تعلمها (الْعَمَلُ بِهِ) أي؛ العمل بما سبق من العلم، لأن العلم لا يُطلب إلا للعمل؛ فالعمل يأتي في المرتبة الثانية بعد العلم؛ فالعمل هو ثمرة العلم، فإنه لا يكفي معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام، بل لابد من العمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله، والقيام بطاعته؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، من العبادات، مثل الصلاة والصوم، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله وغير ذلك. فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجماع ذلك أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق ولا يُتْبِعُونه عملاً، أو: لا قولاً ولا عملاً، وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون، ولهذا كان السلف؛ سفيان بن عيينة وغيره يقولون: «إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبادنا ففيه شبه من النصارى».

قال الخطيب البغدادي: «العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يُعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...



الخطبة الثانية

الحمد لله الذي كفانا وآوانا وهدانا، أحمده حمد الشاكرين واستغفره وأتوب إليه.

عباد الله:

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: المسألة (الثَّالِثَةُ): الواجب على المسلم تعلمها ومعرفتها، (الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ) فإن الله ـ عز وجل ـ إذا منَّ على المسلم بالعلم والعمل فإنه يجب عليه الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ ونشر دينه، والدعوة إلى توحيد الله وطاعته وسنة نبيه ﷺ، وتعليم الجاهل، وإرشاد الغافل، ونصح المعرض، فإن المسلم إذا وفقه الله إلى علم وعمل، فإنه يجب عليه السعي في الدعوة إلى الله، كما هي طريقة الرسل وأتباعهم. لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ أدعو هنا بيان للسبيل، بينها بعدها قال: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ ثم قال: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ إلى الله مخلصاً في دعوتي لا لحظ من حظوظ الدنيا ولا غير ذلك، وفي قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ تنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً من الناس وإن دعا في الظاهر إلى الله فهو في الحقيقة يدعو إلى نفسه. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على علم ومعرفة.

والدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ هي وظيفة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وطريقة من تبعهم بإحسان، وهي أشرف الأعمال والصنائع. وأعلى مراتب العلم: الدعوة إلى الحق، وسبيل الرشاد، ونفي الشرك والفساد، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوهم إلى طاعة الله، وإفراده بالعبادة، وينهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه؛ ويبدأ بالأهم فالأهم بعد ذلك من شرائع الإسلام، قال ﷺ لمعاذ ـ رضي الله عنه ـ عندما بعثه إلى اليمن: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرام أموالهم...**» [رواه مسلم].

ومما يدل على شرف الدعوة والدعاة إلى الله، إن الله ـ عز وجل ـ تولاها بنفسه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ وقال سبحانه: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾.

والدعوة إلى الله ـ تعالى ـ أمرها عظيم، وثوابها جزيل، كما قال ﷺ: «**فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» [رواه البخاري] وفي الحديث الآخر: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**» [رواه مسلم].

ومعلم الناس الخير يستغفر له النمل في جحوره والحيتان في بحوره، وأحسن الناس من دعا الناس إلى عبادة رب الناس ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : «قال العلماء: ولا يشـــترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال، ممتثلاً ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلّاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبســاً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان؛ أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدها كيف يباح له الإخلال بالآخر».

ومجــالات الدعوة كثــيرة منها: الدعــوة إلى الله بالخطابــة، وإلقاء المحاضرات، وكتابة المقالات والتأليف ونشر الكتب الإســلامية ومنها رد الشبه والدفاع عن الإســلام وبيان حقيقته وتبيينه للناس. ومنها القدوة الصالحة فإن المســلم إذا امتثل لما أمر به فإنه بفعله هذا يرشــد غيره بما يراه من حســن صنيعه وعمله. ومنه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وعلى الداعي إلى الله أن يحرص عــلى الإخلاص بأن يقصد بدعوته وجه الله ـ تعالى ـ ورضاه، والإحســان إلى خلقه، وأن يدعو إلى ما يعرفه من العلم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

هذا وصلوا وسلموا...

٣



الخطبة الأولى[1]

الحمد لله، شرح بفضله صدور أهل الإيمان بالهدى، وأضل من شاء بحكمته وعدله، فلن تجد له وليًّا مرشداً، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عددا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله، كرم أصلاً، وطاب محتداً، خصه ربه بالمقام المحمود وسماه محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، هم النجوم بهم يهتدى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدى.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فإن من اتقاه كفاه ووقاه، وقربه وأدناه.

عباد الله:

ذكر مؤلف رسالة «ثلاثة الأصول» ـ رحمه الله تعالى ـ فيما سبق أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل: الأولى: العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. الثانية: العمل به. الثالثة: الدعوة إليه.

وفي هذه الخطبة سوف يكون الحديث عن:

المسألة (الرَّابِعَةُ): من المسائل الواجب على المسلم معرفتها والعمل بها. وهي:

---

(١) المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

(الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ) أي؛ على الأذى في الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ. بأن يكون الداعية صابراً على ما يناله من أذية الناس، لأن أذية الدعاة من طبيعة البشر إلا من هدى الله، والمسلم إذا علم، ثم عمل، ثم دعا الناس إلى توحيد الله وشرائعه، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، فإنه قد يصيبه من البلاء والأذى ما أصاب من قبله من الأنبياء والدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ، لأن من قام بدين الإسلام، ودعا الناس إليه، فقد تحمل أمراً عظيماً، وقام مقام الرسل في الدعوة، والحيلولة بين الناس وشهواتهم وأهوائهم، واعتقاداتهم الباطلة،فحينئذ لا بد أن يؤذوه، فعليه أن يصبر ويحتسب. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤] فالصبر في غاية المهمات لمن علم، فعمل، فدعا، فإن لم يصبر كان من الذين يستخفهم الذين لا يوقنون.

والصبر: ثبات القلب عند موارد الاضطراب، وهو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

وأصل هذه الكلمة هو: المنع والحبس؛ فالصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها.

والرسل وهم القدوة والأسوة، أوذوا على هذا ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ أوذوا بالقول وبالفعل، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات: ٥٢] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، وقد

مكث نوح ـ عليه السلام ـ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم يؤذونه، ويتهمونه بالجنون تارة، وبالسحر تارة؛ وكذلك هود، وصالح، وموسى، وعيسى، وشعيب، وقال ـ تعالى ـ لنبينا ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ ـ عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ. فطريق الدعوة طريق يصد فيه الداعي رغبات الناس وشهواتهم، فعليه بالصبر لما يناله منهم.

عباد الله: استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسائل الأربع ووجوب تعلمها والعمل بها بسورة عظيمة؛ لا تزيد على ثلاث آيات؛وهي سورة العصر. فالمسألة الأولى والثانية في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والمسألة الثالثة في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ والرابعة في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

ولما حكم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على تعلم هذه الأمور بالوجوب، فقد ذهب يستدل على ذلك: أي على هذه المراتب الأربع. فقال:

(وَالدَّلِيلُ) على أنه يجب علينا تعلم الأربع مسائل والعمل بها؛ وهي العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه.

(قَوْلُهُ تَعَالَى) في كتابه الكريم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

قوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾، أقسم الله ـ تعالى ـ في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر، وهو العشي والليل والنهار؛

ومعناه: الزمن، والعمر، والوقت؛ أقسم الله ـ عز وجل ـ به لشرفه، لأنه أشرف شيء أعطيه الإنسان، فأعطي عمراً ليعبد الله ـ عز وجل ـ فيه ويطيعه، فبسبب العمر عبد الله، وبسبب العمر شرف العبد ـ إن كتب الله ـ عز وجل ـ له الجنة ـ أن يكون من أهل الجنة، فهو شريف القدر، عظيم القدر. وفي الحديث: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله**» [رواه الترمذي] فالدهر هو زمن تحصيل الأرباح والأعمال للمؤمنين، وزمن الشقاء للمعرضين، ولما فيه من الصبر والعجائب للناظرين.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ (الواو) واو قسم، والله ـ عز وجل ـ إذا أقسم بشيء فلمكانته وعظمته؛ والله يُقسم بما شاء من مخلوقاته، فقد أقسم ـ تعالى ـ بالفجر، والعصر، والليل، وأقسم بالضحى، وبالشمس. والمخلوق لا يقسم إلا بالله ـ عز وجل ـ أو بأسمائه أو صفاته، وفي الحديث: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» [رواه أحمد]. وفي الحديث الآخر: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**» [رواه البخاري].

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ هذا هو المُقسم عليه، و(إن) للتأكيد، واللام في (لفي) للتأكيد، فيصير فيها ثلاث مؤكدات؛ والمعنى أن جنس الإنسان في خسارة وهلاك وهو النقصان والهلكة، لأن حياة الإنسان هي رأس ماله، فإذا مات، ولم يؤمن ولم يعمل صالحاً خسر كل الخسران.

قال السعدي: «والخسارة مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات» وهم الذين استثناهم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا هو الوصف الأول لمن يسلم من الخسار وهو وصف الإيمان، والمعنى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بما أمر الله ـ تعالى ـ من الإيمان، وهو الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبيين، وكل ما يقرب إلى الله من اعتقاد صحيح وعلم نافع؛ أي الإيمان الصادق المبني على علم، فليس هناك إيمان صحيح إلا بالعلم، وهذا العلم هو المسألة الأولى.

وهذا هو الوصف الأول لمن يسلم من الخسار فإنهم ليسوا في خسر وهو وصف الإيمان، فقد استثناهم الله ـ عز وجل ـ من الخسار. وفيه ما يوجب الجد والاجتهاد في معرفة الإيمان والتزامه بعد ذلك يتبعه العمل.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بجوارحهم؛ مكثرين فيها الإخلاص، مقتفين هدي النبي ﷺ، وهذا شامل لأفعال الخير كلها الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده الواجبة والمستحبة. وهذه هي الصفة الثانية في أهل الفلاح وهي العمل بالعلم. وفيه الحض على العلم، فإن العامل بغير علم، ليس من عمله على طائل، وفيه العمل وهو ثمرة العلم. والصالحات: هو أداء الواجبات وترك المحرمات.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهذه هي المسألة الثالثة؛ أي؛ الدعوة إلى الله، ووصفها بأنها الدعوة إلى الحق. وكذلك أوصى بعضهم بعضاً بالإيمان بالله وتوحيده، وبالكتاب والسنة، والعمل بما فيها. وفيه الدعوة إليه.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾ أي: ذكّر بعضهم بعضا ﴿بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ هذه هي المسألة الرابعة؛ أي الصبر على أداء الفرائض، وإقامة أمر الله وحدوده ويدخل فيه الصبر على الأذى فيه، فصبروا على ما ينالهم من أذى. فإن من قام بالدعوة إلى الله فلا بد أن يحصل له من الأذى بحسب ما قام به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾.

عباد الله: ومن الصبر أيضاً: الصبر عن البطر عند كثرة النعم، فيصبر الإنسان عن البطر والإسراف والتبذير عند وجود النعم أو كثرتها، ومن الصبر أيضاً: الصبر على المصائب، وهي ما يصيب الإنسان في هذه الدنيا من مصائب وحوادث فإنه عرضة لذلك.

والصبر أقسام ثلاثة: صبر على طاعة الله. وصبر عن المعصية. وصبر على أقدار الله التي تسّر والتي تؤلم. وأنواع الصبر الثلاثة كلها يحتاج إليها كل مسلم.

فالله ـ عز وجل ـ أقسم في هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو في خيبة وخسر؛ مهما كثر ماله وولده، وعظم قدره وشرفه، إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة وأتصف بها:

أحدها: الإيمان؛ ويشمل كل ما يقرب إلى الله ـ تعالى ـ من اعتقاد صحيح وعلم نافع.

الثاني: العمل الصالح؛ وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن يكون فاعله لله مخلصاً، ولمحمد ﷺ متبعاً.

الثالث: التواصي بالحق؛ وهو التواصي على فعل الخير والحث عليه والترغيب فيه.

الرابع: التواصي بالصبر؛ بأن يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على فعل أوامر الله ـ تعالى ـ، وترك محارم الله، وتحمل أقدار الله.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «جهاد النفس أربع مراتب، **أحدها:** أن يجاهد على تعلم الهدى ودين الحق، الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون: على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً، حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلّم، فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

بارك الله لي ولكم....



الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً على الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وأتباعه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

التواصي بالحق والتواصي بالصبر، يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاحها، ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن قام بهذه الخصال فقد جانب الخسران، وكان من عباد الله المفلحين، فبالأمرين الأولين وهما الإيمان والعمل الصالح يكمل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين، وهما التواصي بالحق والصبر يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد فاز ونجا وسلم من الخسار.

(قَالَ) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس (الشَّافِعيُّ) وهو أحد الأئمة الأربعة ـ (رَحِمَهُ الله تَعَالَى) ـ: عن سورة العصر (لَوْ مَا أَنْزَلَ الله) من القرآن الكريم (حُجَّةً) وإعذاراً وإنذاراً وبرهاناً (عَلَى خَلْقِهِ) المكلفين (إلا هَذِهِ السُّورَةَ) العظيمة الجامعة للخير بحذافيره لأنها بينت المنهج الذي شرعه

الله ـ تعــالى ـ طريقاً للنجاة والفوز والفــلاح (لَكَفَتْهُمْ) لما فيها من إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بالتمسك بالدين، والعمل الصالح والدعوة إلى الله، والصبر عــلى ذلك؛ وليس مراده أن هذه الســورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : «فهذه الســورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره».

وقال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذه السورة ميزان للأعمال يزين المؤمن بها نفسه، فيبين له بها ربحه من خسرانه».

وقد اشــتملت هذه السورة على كل ما يدل الخلق على ربهم ـ عز وجل ـ، ويقودهم إلى اتباع رسالة النبي ﷺ.

ثم ذكر المؤلف ما استدل به من إمام الحديث (وَقَالَ) الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (الْبُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ الله تَعَالَى ـ): يعني: في كتاب العلم من صحيحه.

(بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ)؛ ترجم ـ رحمه الله تعالى ـ بالبداءة بالعلــم، لأن تعلم العلم الفرض مقــدم على القول والعمل، وذلك أن قــول المرء وعمله، لا يصح إلا إذا صدر عن علم، والعلم إذا كان قبل القول والعمل بورك لصاحبــه في القليل، وإن كان العمل والقول قبل العلم، فربما كانت الأعمال والأقوال جبالاً، ولكنها ليست على سبيل

نجاة. وفي الحديث: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» [رواه أحمد].

(وَالدَّلِيلُ) على أن العلم قبل القول والعمل: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ﴾ يا محمد، ويشمل الأمة. ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ﴾ معبود بحق. ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له. وهذا هو العلم. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، هذا هو العمل.

قال البخاري ـ رحمه الله ـ: (فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ). أي أن العلم مقدم على القول والعمل، فبداية يجب التعلم، ثم من بعده القول والعمل، فالعلم إمام لهما، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به فهو مقدم عليهما؛ لأن الإنسان إذا عمل بدون علم صار عمله في ظلام وصار في ظلال.

قال بعض السلف: «من عبد الله بغير علم، كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح».

والله ـ عز وجل ـ قسم خلقه إلى ثلاثة أقام كما في سورة الفاتحة:

القسم الأول: قسم أنعم الله عليهم؛ وهم الذين منَّ الله عليهم بالعلم والعمل.

والقسم الثاني: قسم مغضوب عليهم؛ وهم الذين يعلمون ولا يعملون.

والقسم الثالث: وهم الذين يعملون بدون علم.

جعلني الله وإياكم هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين.

هذا وصلوا...



٤ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد، ونصر عباده الموحدين، أشهد ألا إله إلا هو رب الأولين والآخرين، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبد الله ورسوله؛ أرسله كافة إلى الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فيا ـ عباد الله ـ: اتقوا ربكم، فإن تقواه خير عاصم من القواصم، وخير مانع من المصارع والقوامع: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠﴾ [آل عمران:١٠٢].

أيها المسلمون:

لما فرغ مؤلف رسالة «ثلاثة الأصول» ـ رحمه الله تعالى ـ من الحديث عن المسائل الأربع، التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها؛ وهي: العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه؛ ذكر بعدها مسائل ثلاثاً هي من أمور التوحيد والعقيدة التي يجب على كل مسلم أن يحققها.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (اعْلَمْ) علم اليقين، داعياً لك حريصاً عليك؛ قائلاً: (رَحِمَكَ الله) وأنزل عليك رحمته وفضله وهذا الدعاء من حرصه

---

(١) ثلاث مسائل في التوحيد والعقيدة.

عليك (أَنَّه يَجِبُ) وجوباً عينياً يعاقب على تركه (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) مكلف ذكر (وَ) كذلك (مُسْـــلِمَةٍ) مكلفة، (تَعَلُّمُ) ومعرفة واعتقاد وهذا تأكيد لما سبق (هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَـــائِل)، (والْعَمَلُ بِهِنَّ): فإن العمل هو ثمرة العلم. لأن فيها بيان أصل الدين وقاعدته وأساســـه. الأولى: في توحيد الربوبية، والثانية: في توحيد الألوهية، والثالثة: في الولاء والبراء.

المسألة (الأُولَى): من هذه المسائل:

(أَنَّ الله خَلَقَنَـــا) والدليل على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖۖ﴾ [الزمر: ٦٢] وهذه عقيدة فطر الله عليها كل إنسان وكل مسلم ولم يجحدها أحد من الأولين والآخرين والذين جحدوها كان جحودهم عن مكابرة وعناد.

والله ـ عز وجل ـ خلقنا بعد أن لم نكن شـــيئاً لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريـــات: ٥٦]، خلقنـــا وصورنا في أحســـن صورة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين: ٤].

(وَرَزَقَنَا) النعم والخيرات؛ لنســـتعين بها على ما خلقنا له.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمـــران: ٣٧]. وهـــذا الأمـــر الثاني مما يتعلـــق بتوحيد الربوبية، والمتأمـــل في الآيات يجد أن الخلق والرزق مقترنان لا يكاد يفارق أحدهما الآخر ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ﴾ وغيرها من الآيات. وجعل ـ سبحانه ـ رزقه موصولاً بخلقه

وتكفل به، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾.

(وَلَـمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا) هذا الأمر الثالث، لم يتركنا هملاً مهملين معطلين سدى شبه البهائم. والهمل: هو الذي لا يؤمر ولا ينهى ولا يوجه.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦].وإذا عرف الإنسان أنه خُلق لعبادة الله وحده لا شريك له، وجب عليه أن يعرف طريق هذه العبادة باتباع الرسول ﷺ.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا) أي؛ أن الله ـ عز وجل ـ أرسل إلينا معشر الأمة، أمة محمد ﷺ رسولاً، وهذا من رحمته بعباده فإنه لما خلقهم ورزقهم وأفاض عليهم من جوده وكرمه ورحمته لم يتركهم حيارى، يتخبطون، لا يدرون ماذا يراد بهم، ولا ما يراد منهم، بل أرسل (رَسُولًا) وهو نبينا محمد ﷺ، معه الحق سهلاً ميسراً يهدي إليه، يتلو علينا آيات ربنا، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، وفي الأمم السابقة أنبياء؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤] والحكمة من إرسال الرسل هي إنقاذ البشرية من وحل الوثنية إلى بر الحنيفية، ومن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومكارم الأخلاق، وعدل الشريعة، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

ومن واسع فضل الله ـ عز وجل ـ علينا وعظيم نعمائه وآلائه أن خصنا ـ معاشر المسلمين ـ بخاتم النبيين ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤] في ذلك جوب طاعتهم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] أرسله الله بالهدى، ودين الحق، وهذا أصل عظيم من أصول الدين يجب علينا معرفته واعتقاده، والعمل بمقتضاه.

ثم بين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ مآل الطائعين والعصاة بقوله:

(فَمَنْ أَطَاعَهُ) ﷺ فيما أمر ودعا إليه. واتبع ما جاء به؛ لأن هذا أمر الله. (دَخَلَ الجَنَّةَ) أي أن المصير إلى الجنة بعد الموت، لأن طاعته لله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣]، وقال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١].

وفي الحديث: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» فقيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار**» [رواه البخاري].

(وَمَـنْ عَصَاهُ) وترك ونبذ أمره ﷺ. (دَخَلَ النَّـارَ) أعاذنا الله منها، قال تعـالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

(وَالدَّلِيلُ) على التحذير من عصيانه. (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾) يا أمة محمد ﷺ. ﴿رَسُولًا﴾ وهو خاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ. ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ عـلى أعمالكم، وهذه منّة من الله ـ عز وجل ـ على هذه الأمة كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ﴾ من قبل موسى ـ عليه السـلام ـ وعدم تعيينه لأنه معلوم غنـي عن البيـان. ﴿إِلَىٰ﴾ الطاغيـة ﴿فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ وجيهاً عندنا مـن أولى العـزم. ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أي؛ أبى فرعون إلا التمادي في الكفر والطغيان، وعصيان. ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ وهو موسى ـ عليه السـلام ـ ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ أي؛ أخذاً شـديداً مهلكاً، فقد أهلكه الله وأتباعه، وأغرقهم في البحر، فصارت أجسامهم إلى الغرق وأرواحهم إلى النار والحرق، ثم بعد ذلك في عذاب البرزخ إلى يوم القيامة، ثم عذاب النار، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، وكثيراً ما يقرن الله ـ جل وعلا ـ بين رسـولنا ﷺ وبين موسى ـ عليه السلام ـ وكثيراً ما يردد عليه قصة موسى؛ لأن موسى شبيه بمحمد في دعوته وفي مزاولته الناس، وفي العذاب الذي أوذي به، وفي البينات التي جاء بها.

وفي الآية تنبيه وتحذير لأمة محمد ﷺ من عصيان نبيها وعدم طاعته؛ فيحل بكم كما حل بهم من عقاب الله وأليم عذابه. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة، في بيان سعادة من أطاع الرسل، وشقاوة من عصاهم.

وخلاصة المسألة الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً من عنده، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار. وإذا علم العبد وأقر بأن الذي خلقه ورزقه هو الله ـ تعالى ـ، وأنه أرسل إليه رسلاً مبشرين ومنذرين؛ فإن الواجب عليه القيام بالعبودية لله وحده لا شريك له.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ:

المسألة (الثَّانِيَةُ): وهي في توحيد الألوهية، ولكون المسألة الأولى في توحيد الربوبية، ولأن توحيد الربوبية دال على توحيد الألوهية، ومستلزم له، ذكر ذلك هنا؛ حق الله ـ عز وجل ـ بعد أن ذكر حق رسوله ﷺ.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (أَنَّ الله) ـ عز وجل ـ يوجب على المكلفين إفراده بالعبادة؛ لأنه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لأنه ـ تعالى ـ هو الخالق الرازق، له الملك والأمر.

(لا يَرْضَى) أي: لا يقر ولا يحب، بل يمقت أشد المقت. (أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ) ويساوي أي: (أَحَدُ) كان. (فِي عِبَادَتِهِ) وطاعته، بل هو وحده المستحق للعبادة، وصرفها لغير الله ظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣].

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وسمى الله المشرك ظالماً، لأنه وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها؛ فهو وحده المستحق للعبادة.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الزمر ٦٥ ـ ٦٦].

والعبادة: هي الأوامر والنواهي، فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضى من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. وهي غاية التعظيم، فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام؛ وهو الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم وفروعها.

(لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته؛ لا مَلَكٌ) من الملائكة (مُقَرَّبٌ) عنده، حتى ولو كان جبريل ـ عليه السلام ـ الذي هو سيد الملائكة وأشرفهم وأعظمهم.، (وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ) من البشر أرسله الله ـ عز وجل ـ حتى النبي محمد ﷺ؛ فضلاً عن غيرهم من المخلوقات، لأنهم لا يستحقون العبادة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم..



الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

عباد الله:

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل السالكين. والتوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروه سنامه، قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين. نصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس، وانفصلت به دار الكفر عن الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيد وشقي ومعتد وغوي.

قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ: «من أسباب المغفرة؛ التوحيد، وهو السبب الأعظم، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة».

(وَالدَّلِيلُ) على ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته. (قَوْلُهُ تَعَالَى): في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾ المساجد: جمع مسجد، وهو كل موضع بُني للصلاة والعبادة، وذكر الله ـ تعالى ـ. وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ إضافة تشريف وتخصيص. ﴿فَلَا تَدۡعُواْ﴾ دعاء مسألة. نهي عام لجميع الخلق؛ فلا يسأل ملكاً مقرباً ولا نبيًّا مرسلًا، ولا وليًّا ولا غيرهم، فلا يدعوا إلا الله، وكذلك لا يصلي إلا لله ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨]. نكرة في سياق النهي، والنكرة في سياق النهي تفيد العموم، شملت جميع ما يُدعى من دون الله.

والمساجد يُفعل فيها شيئان:

الأول: سؤال الله ـ عز وجل ـ ودعاؤه، وهذا هو دعاء المسألة.

الثاني: عبادة الله ـ تعالى ـ بأنواع العبادات: من صلاة الفرض والنفل، ومن تلاوة القرآن، والذكر، والتعلم والتعليم، ونحو ذلك.

والشرك أمره عظيم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**» [رواه البخاري] وقال ﷺ في الحديث القدسي: «**قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» [رواه مسلم].

هذا وصلوا..



الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمده ـ سبحانه ـ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فصدع بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

دعا إلى هذه الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج ولا عمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

فيا ـ عباد الله ـ اتقوا الله حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

أيها المسلمون:

توحيد الله وعبادته وحده لا شريك هو لب دعوة الرسل، وذروة سنامها، والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا.

---

(١) في الولاء والبراء.

عباد الله: ذكر مؤلف رسالة «ثلاثة الأصول» ـ رحمه الله تعالى ـ أن على المسلم تعلم ثلاث مسائل:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

والمسألة الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته.

وفي هذه الخطبة سوف يكون الحديث عن:

المسألة (الثَّالِثَةُ): مما يجب علينا علمه؛ أن من أطاع الرسول، ووحد الله ـ عز وجل ـ يجب عليه أن يوالي أولياء الله، وأن يعادي أعداء الله، وهذه مسألة الولاء والبراء، فهي أصل عظيم من أصول الدين، وهي من المسائل التي يجب على المكلف معرفتها، واعتقادها، والعمل بها، وهي أوثق عرى الإيمان كما أخبر بذلك النبي ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**» [رواه الطبراني]. والولاء شرعاً: هو المحبة والنصرة والمعاضدة من أجل الدين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، والبراء شرعاً: هو البغض والبعد وترك النصرة من أجل الدين.

وقد جاء في الكتاب العزيز جملة من الآيات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١] وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١] قال البغوي: «أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وأن من كان مؤمناً لا يوالي من كفر وإن كان من عشيرته».

عباد الله: قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ) فيما أمر بــه، واجتنب ما نهى عنه،(وَوَحَّدَ اللهَ) في عبادتــه (لا يَجُوزُ لَهُ) وهو الموحد المطيع للرسول ﷺ (مُوَالاةُ) ومحبة (مَنْ حَادَّ) وعادى (اللهَ) ـ عز وجل ـ (وَرَسُــولَهُ) ﷺ، والولي والوني: الصديق والنصير (وَلَوْ كَانَ) هذا المحاد، وهو الكافر بالله.(أَقْرَبَ قَرِيبٍ) سواء كان أباك، أو ابنك أو أخاك، لأنهــما أقرب قريب للإنســان بل يجب عليــه أن يصارمهم ويقاطعهم، ويعاديهم أشــد المعاداة. وفي باب المولاة، وفي بــاب المعاداة لا قيمة للنســب؛ فإن الله قطع التواصل، والتوادد والتعاقل والتوارث، وغير ذلك من الأحكام والعلائق. فالحب في الله، والمعاداة في الله، من مقتضيات ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ومن لوازم دين محمد ﷺ.

(وَالدَّلِيلُ) على ذلك (قَوْلُهُ تَعَــالَى): في كتابه الكريم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ: أنه لا يجد قوماً وطائفة؛ والحكم أيضاً يسرى على الإفــراد في أي وقت من الأوقات.﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي؛ يؤمنون الإيمان الواجــب الذي يتوافق فيه الظاهر مع الباطــن. ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ وهو يوم القيامة؛ يوم الجزاء والحســاب، وبما أعد الله فيــه من الثواب والعقاب. وفيه إشــارة إلى أنهم لا نصيب لهم في اليوم الآخر. ﴿يُوَآدُّونَ﴾ يوالون ويحبــون. ﴿مَنْ حَآدَّ﴾ أي عادى. ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالكفر والعصيان. فمن

والَى الكافرين، فقد ترك واجباً من واجبات الإيمان. فإن الإيمان لا يجتمع في قلب إنسان مع موالاة الكفار.

قال ابن تيمية: «فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان ينافي مودته، كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه فكان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب».

﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ الذين خرجوا من أصلابهم. ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع، وقد بدأ بالآباء للقرب ثم الأدنى ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ الذين ولدوا على فراشهم. ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ في النسب. ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ العشيرة اسم لكل جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثر بهم.

قال الألوسي: «وليس المراد بمن ذكر خصوصهم، وإنما المراد الأقارب مطلقاً، وقدم الآباء لأنه يجب على أبنائهم طاعتهم ومصاحبتهم في الدنيا بالمعروف، وثنى بالأبناء لأنهم أعلق بهم لكونهم أكبادهم، وثلث بالإخوان، لأنهم الناصرون لهم، وختم بالعشيرة؛ لأن الاعتماد عليهم والتناصر بهم بعد الإخوان غالباً».

وقال السعدي: «لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقة؛ إلا كان عاملاً على مقتضى إيمانه ولوازمه من محبة من قام بالإيمان، وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه وهذا هو الإيمان على الحقيقة الذي وجدت ثمرته والمقصود منه».

فلا يجوز للمسلم أن يوالي أعداء الله، بمعنى: يحبهم أو يناصرهم

لدينهم وعقيدتهم، فإن ذلك منـاف للإيمان الذي في قلبه، وهذه عقيدة سـائر أهل الديانات، فالرضا بدين الآخر، والافتخار به ونصر أهله، يلزم منه الإعراض أو الشـك في دينه الذي هو عليـه. لأن موالاة من حاد الله ومدارته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف، لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئاً هو عدو لمحبوبه.

ثم ذكر ـ سبحانه ـ فضله وجوده أن جازاهم بخمسة أشياء، وبدأ ـ تعالى ـ بألطافه الدنيوية؛ فقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الذين لم يوادوا من حاد الله ورسوله، وحققوا الولاء والبراء، وفيه إشارة إلى الصحابة الذين قتلوا أقرباءهم في بدر. ﴿كَتَبَ﴾ أي؛ جمع وثبت وأرسى، وغرس، ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ المؤمنة الصادقة. لأنهـم يوالون في الله ويعادون في الله ﴿ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ فثبت في قلوبهم الإيمان؛ فلا تؤثر فيه الشبه ولا الشكوك. فهي موقنة مخلصة. ﴿وَأَيَّدَهُم﴾ أي؛ قواهم سـبحانه. ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي؛ بنور وهدى ومدد إلهي، وإحسان رباني، وسماه الله روحاً؛ لأنه سبب للحياة الطيبة ولأن به حيي أمرهم. حيث استقاموا على طاعة الله وأحبوا في الله، وأبغضوا في الله، فأيدهم ـ سبحانه ـ بملائكته وبما جعل الله في قلوبهم من الإيمان.

ثم ذكر ـ سـبحانه ـ آثـار رحمته الأخروية وثوابهـم وجزاؤهم؛ فقال سـبحانه: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ﴾ أي يسكنهم في دار القرار. ﴿جَنَّـٰتٍ﴾ الجنة: اسم الدار، جمعت أنواع النعيم التي أعلاهـا النظر إلى وجه الله الكريم. قال ابـن عباس: «وليس عندكم في الدنيا مما في الجنة إلا الأسـماء» يعني: العنب والنخل والحور والأنهار والخمر... إلخ.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ زيادة في نعيمهم. جاء في الحديث أن أنهار الجنة تجري بلا أخدود، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ منعمين أبد الآباد، لا يرحلون عنها، وزادهم بأن ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ هذا أعلى ما في الجنة كون الله رضي عنهم ورضوا عنه؛ فأحل عليهم رضوانه. وفيه إثبات الرضا لله -عز وجل- حيث أنهم موحدون مخلصون له بالعبادة. ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ وأحبوه وشكروا إنعامه وأفضاله حيث إنه -سبحانه وتعالى- أحلّهم دار كرامته، وفيه سر بديع فإنهم لما أسخطوا القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم، وهذا أعلى مراتب النعيم.

عباد الله: (الموالاة) معناها: أن تتخذه وليًّا، وأصلها من الوَلاية، والوَلاية هي المحبة، قال -عز وجل-: ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الكهف: ٤٤]؛ أي: هنالك المحبة والمودة والنُّصرة لله الحق، فأصل الموالاة المحبة والمودة؛ ولهذا استدل بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ففسَّر الموالاة بأنها المُودة، وهذا معناه: أن أصل الموالاة في القلب، وهي محبة الشرك أو محبة أهل الشرك والكفر.

فأصل الدين أن من دخل في (لا إله إلا الله) فإنه يحب هذه الكلمة وما دلَّت عليه من التوحيد، ويحب أهلها، ويُبغضُ الشركَ المناقض لهذه الكلمة، ويبغض أهلها. فكلمة الولاء والبراء هي معنى الموالاة والمعاداة،

وهي بمعنى الحب والبغض، فإذا قيل: الولاء والبراء في الله هو بمعنى الحب والبُغض في الله، وهو بمعنى الموالاة والمعاداة في الله؛ ثلاثة بمعنى واحد، فأصله القلب؛ محبة القلب إذا أحبَّ القلبُ الشرك صار مواليًا للشرك، وإذا أحب القلبُ أهل الشرك صار موالياً لأهل الشرك، كذلك إذا أحب القلبُ الإيمان صار موالياً للإيمان، وإذا أحب القلبُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ صار موالياً ووليًّا لله، وإذا أحب القلبُ الرسول ﷺ صار وليًّا ومواليًا للرسول ﷺ، وإذا أحب القلبُ المؤمنين صار مواليًا ووليًّا للمؤمنين؛ قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]؛ أي: من يحب وينصر اللهَ ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون.

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

أما حكم الموالاة: فإن موالاة المشركين والكفار محرمة وكبيرة من الكبائر، وقد تصل بصاحبها إلى الكفر والشرك، ولهذا ضبطها العلماءُ بأن قالوا: تنقسم الموالاة باسمها العام إلى قسمين:

القسم الأول: التولي، وهو الذي جاء في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، يقال: تولاه توليًا؛ فالتولي معناه: محبة الشرك وأهل الشرك، ومحبة الكفر وأهل الكفر، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان، قاصداً ظهور الكفر على الإسلام، بهذا الضابط يتضح معنى التولي، وهو كفرٌ أكبر، وإذا كان مِنْ مسلم فهو ردة.

وللبيان والإيضاح فإن معنى التولي: محبة الشرك وأهل الشرك أي: يحب الشرك وأهل الشرك جميعاً مجتمعة، أو أَلَّا يحب الشرك ولكن ينصرُ المشركَ على المسلم، قاصداً ظهور الشرك على الإسلام، وهذا الكفر الأكبر الذي إذا فعله مسلم صار رِدَّة في حقه والعياذ بالله تعالى.

القسم الثاني: الموالاة، والموالاة المحرَّمة مِنْ جنس محبة المشركين

والكفـــار؛ لأجل دنياهم، أو لأجل قراباتهم، أو لنحو ذلك، وضابطها: أن تكون محبة أهل الشرك؛ لأجل الدنيا، ولا يكون معها نصرةٌ؛ لأنَّه إذا كان معها نصرةٌ على المســلم بقصد ظهور الشرك على الإســلام صار توليًا، وهو في القسم المُكَفِّر، فإن أحب المشرك والكافر لدنيا، وصار معه نوع موالاة لأجل الدنيا، فهذا محــرم ومعصية، وليس كفراً؛ دليل ذلك قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

قـــال العلماء ـ رحمهم الله تعـــالى ـ : «أثبت الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان اتخاذ المشركين والكفار أولياء بإلقاء المودة لهم».

قال السعدي: «وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر وهو مع ذلك مواد لأعداء الله، محـــب لمن نبذ الإيمان وراء ظهـــره، فإن هذا الإيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان تصدقه، فمجرد الدعوى لا تفيد شيئاً ولا يصدق صاحبها».

هذا وصلوا وسلموا...



٦ الخطبة الأولى(١)

الحمد لله الـــذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشـــهد أن لا إله إلا الله، وأشـــهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾.

أيها المســـلمون: لا زال الحديث موصـــولاً عن أمر عظيم وعقيدة من عقائد المسلمين وهي الولاء والبراء.

ولما ذكـــر ـ تعالى ـ النعم العظيمة وما أعده لعباده المؤمنين في قوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُـــولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِـــيرَتَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِـــكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡـــرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾، أتبعه بما يوجب ترك الموالاة لأعداء الله، فقال:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الموالـــون، أولياء الله، المصارمون أعـــداء الله؛ الذين كتب في قلوبهـــم الإيمان وأيدهم بروح منه هـــم ﴿حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ إضافة تشريف أي؛ عباد الله وأهـــل كـــرامته، وأوليـــاؤه وأحبـــابه المقربون، وأنصاره في أرضـــه. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢]. الفائزون بالظفر والســـعادة في الدنيا والآخرة، الناجون يوم القيامة. وذكرت كلمة (حزب

---

(١) في الولاء والبراء.

الله) في الأول لبيـــان اختصاصهم به ـ تعالى ـ، والثانية لبيان اختصاصهم بسعادة الدارين. فمن حقق البراء فقد أخبر الله ـ تعالى ـ أنه يجازيه بأمور:

الأول: جمع الإيمان في قلبه وثباته فيه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾.

الثاني: تأييد الله له بالنور والهدى ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ وســـماه روحاً، لأنه سبب الحياة الطيبة. وهذا الأمر مع الذي قبله من الثواب في الدنيا.

الثالث: دخول الجنة ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾.

الرابع: رضا الرب ـ سبحانه ـ عنه ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ وهذا من الزيادة في النعيم كما قال تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢].

الخامســـة: رضا العبد في الآخرة يدخله الجنـــة وما فيها من الكرامة ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾.

الســـادس: إكرام الله لهم، بأن جعلهم مـــن خاصته وحزبه المفلحين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾.

عباد الله: الولاء والبراء أصل عظيم من أصول الدين، قال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: «لا يســـتقيم للإنسان إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركـــين، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء». وهـــو معنى كلمـــة التوحيد، وهو من الإســـلام الذي هو الاستســـلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «والبراءة ضد الولاية، وأصل البراءة البغض، وأصل الولاية الحب، وهذا لأن حقيقة التوحيد أن لا يحب إلا لله ويحب ما يحبه الله لله، فلا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله».

والمسلم يحب من يحب الله ويعادي من عاداه الله، والله يبغض الكافر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ٤٥﴾ [الروم: ٢٥]، والكافر عدو لله وللمؤمنين، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، والولاء والبراء من تمام محبة الله.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «من تمام محبة الله ورسوله، بغض من حاد الله ورسوله، والجهاد في سبيله».

وإذا قوي الإيمان في القلب قوي جانب الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «إذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله، أوجب بغض أعداء الله، قال سبحانه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي: أصدقاء وأحباباً ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾.

وقال ـ رحمه الله ـ: «والموادة من أعمال القلوب، فإن الإيمان بالله يستلزم مودته ومودة رسوله، وذلك يناقض موادة من حاد الله ورسوله، وما ناقض الإيمان فإنه يستلزم الذم والعقاب، لأجل عدم الإيمان».

والإعراض عن المشركين بالجسد لا يكفي في البراء، بل يجب مع ذلك البغض بالقلب، ولهذا كانت براءة الخليل من قومه المشركين ومعبوديهم ليست تركاً محضاً، بل صادراً عن بغض وعداوة.

عباد الله: ومن صور موالاة الكفار: الرضا بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم.

ومنه: التشبه بهم في عاداتهم وأخلاقهم وتقاليدهم وإجازاتهم. ومن صور ذلك أيضاً: الاستعانة بهم في غير الضرورة، والثقة بهم، واتخاذهم

أعواناً وأنصاراً. ومنه: معاونتهم ومناصرتهم، وكذلك التسمي بأسمائهم، والسفر إلى بلادهم لغير ضرورة، وكذلك الاستغفار لهم والترحم عليهم إذا مات ميتهم إلى غير ذلك من مظاهر موالاة الكفار.

واعلم أن الولاء والبراء مع المشركين ينقسم إلى قسمين:

الأول: التولي، ومعناه: محبة الشرك وأهله، أو نصرة الكفار على المؤمنين، أو الفرح بذلك، أو مظاهرتهم ومعونتهم على المسلمين، وهذا كفر أكبر؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤] قال البغوي ـ رحمه الله ـ: «إيمان المؤمن يفسد بموادة الكفار». وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن هذا من نواقض الإسلام، قال ـ رحمه الله ـ: «الثامن ـ أي من نواقض الإسلام ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

الثاني: الموالاة وهي: الموادة والصداقة، ضد المعاداة والمحادة، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «فإن الولاية ضد العداوة، والولاية تتضمن المحبة والموافقة، والعداوة تتضمن البغض والمخالفة».

وضابطها: أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا، ولا تكون معها نصرة، وهذا كبيرة من الكبائر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾. قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وقد تحصل للرجل موادتهم لأمر أو حاجة، فتكون ذنباً ينقص به إيمانه، ولا يكون به كافراً كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة».

والفرق بين التولي والموالاة: أن التولي كفر أكبر يخرج من الملة، والموالاة كبيرة من كبائر الذنوب، وقد سئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف

ـ رحمه الله ـ عن الفرق بين الموالاة والتولي؟ فأجاب: «التولي كفر يخرج من الملــة، وهو كالذب عنهم وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والموالاة كبيرة من كبائر الذنوب، كبل الدواة، أو بري القلم، أو التبشــش لهم، أو رفع السوط لهم».

والكافر يعامل معاملة ظاهرة بدون ميل ومحبة في القلب أو تشــبه في الظاهــر، فالإيمان الواجب يوجب معاداة من حاد الله ورســوله، كما أنه يستلزم محبة من يحب الله ورســوله وموالاتهم، فمن والى الكافرين فقد ترك واجباً من واجبات الإيمان، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «لا بد في الإيمان من محبة القلب لله ولرسوله، ومن بغض من يحاد الله ورسوله».

وكما أن الكفار يجب بغضهم فكذلك الفاســق يبغض لفسقه، ولكن يعطى من الموالاة بقدر إيمانه.

وقال ـ رحمــه الله ـ: «والواجب موالاة أوليــاء الله المتقين من جميع الأصناف، وبغض الكفار والمنافقين من جميع الأصناف، والفاسق الملي يعطى من الموالاة قدر إيمانه، ويعطى من المعاداة بقدر فسقه».

فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورســوله وبغضه ولكن هذا لا يمنــع نصيحته ودعوته إلى الحق، فالمؤمــن يحب أولياء الله ويتعاون معهم على الخير، ويكره أعداء الله ويبغضهم ويعاديهم في الله حتى وهو يدعوهم إلى الله، ومن عادى في الله من يبغضه الله، عوضه الله مودة عظيمة لغيره، فإبراهيم ـ عليه السلام ـ لما اعتزل أباه وقومه لكفرهم، أقر الله عينه

بإسماعيل ومن ثم إسحاق، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلا من سلالته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩﴾ [مريم: ٤٩].

ومع بغضهم وعداوتهم والبراءة منهم ومن معبوداتهم، فإن الإسلام حرم قتل الكافر المعصوم، وهو الذمي: وهو الكافر الذي أقر في دار الإسلام على كفره بالتزام الجزية ونفوذ أحكام الإسلام فيه. والمعاهد: وهو الرجل من أهل الحرب يدخل في وإلى دار الإسلام بأمان، والمستأمن: وهو الكافر يدخل ديار المسلمين بأمان. وحرم سلب ماله، أو ظلمه، أو الاعتداء عليه، قال النبي ﷺ: «**من قتل معاهداً، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً**» [رواه البخاري]. بل يجب مع بغضه دعوته إلى الله بالحكمة والبصيرة، كما فعل النبي ﷺ مع المشركين، ودين الإسلام وسط في معتقد الولاء والبراء، لا إفراط فيه بقتل الكفار المعصومين، ولا تفريط فيه بالموالاة المحرمة أو التولي المخرج من الملة، ويجب على المسلم أن يكون عادلاً في أداء تلك العبادة العظيمة بين الإفراط والتفريط، وأن يكون عمله بها منوطاً بالعلم بها على ضوء ما جاءت به الشريعة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦].

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

وليس من موالاة الكفار: تبادل المصالح معهم بالبيع والشراء، والإحسان إلى من أحسن إلينا منهم، وكذا الاستعانة مما عندهم مما هو نافع للمسلمين.

والكفار على قسمين:

القسم الأول: المحاربون: أي الذين يحاربوننا، وهؤلاء يقاتلون، وليس بيننا وبينهم إلا القتال، لا يطعمون ولا يسقون، بل يترك أحدهم إن كان عطشان أو جائعاً يموت، لأنه عدو لك ويقاتلك.

والقسم الثاني: غير المحاربين: وهم الذميون، بيننا وبينه عهد، كأن يدخل البلاد بأمان أو عهد، فله ذمة، لا يقاتلون ولا يخرجون من ديارنا، فهؤلاء لا بأس أن نبرهم، ونكسوهم، ولكن لا نحبهم محبة دينية؛ بل نبغضهم ونعتقد أنهم كافرون وأهم أعداء الله، ونتبرأ من دينهم، لكن نحسن إليهم ونطعمهم ونسقيهم، ونعاملهم معاملة حسنة، وقد يكون هذا من أسباب دخولهم في الإسلام.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه العظيم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة: ٨ ـ ٩].

وموضوع الولاء والبراء ليس خاصاً بالكفار، بل هو ـ أيضاً ـ شامل للعصاة من المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، لأن العاصي يجتمع فيه الحب والبغض، فيحب لما فيه من الإيمان والخير، ويبغض لما فيه من المعصية والشر، ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، وإقامة الحدود والتعزيرات عليهم حتى يكفوا عن معاصيهم.

قال شيخ الإسلام: «إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة؛ استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة.. وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة..».

وقال ـ رحمه الله ـ: «الواجب موالاة أولياء الله المتقين من جميع الأصناف، وبغض الكفار والمنافقين من جميع الأصناف، والفاسق الملي يعطى من الموالاة بقدر إيمانه، ويعطى من المعاداة بقدر فسقه».

هذا وصلوا...



٧ الخطبة الأولى (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أيها المسلمون:

بدأ المؤلف الحديث في موضع توحيد الألوهية؛ بقوله ـ رحمه الله تعالى ـ: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ الله لِطَاعَتِهِ) فيه: تلطف ثالث منه حيث دعا للمتعلم، وفي المرة الأولى والثانية قال: اعلم ـ رحمك الله ـ، وتنويعه بين هذه الأدعية دليل آخر على صفاء سريرته لعباد الله، حيث سأل لهم الخير بأنواعه.

---

(١) توحيد الألوهية.

(اعْلَمْ أَرْشَـدَكَ الله لِطَاعَتِهِ) أي: الاستقامة على طريق الحق، والرشاد، وهو ضد الغي. والطاعة: موافقة المراد للمأمور وتركاً للمحظور، والدعاء بالرشاد إلى الطاعة هو من خير الأدعية وأجمعها، لأنه متى أرشد الله عبده إلى طاعته، فقد ظفر بعز الدنيا وسعادة الآخرة. (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ) هي الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله ـ عز وجل ـ.

(مِلَّةَ إبراهيم) أي؛ طريقة الديني الذي يسير عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠] وهي أيضاً ملة ودين جميع المرسلين؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]. وفي الحديث أنه ﷺ قال: «**أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة**» [رواه أحمد].

(ملة إبراهيم) إِبْرَاهِيمَ: هو خليل الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥] ونسبت إلى إبراهيم؛ لأنه أبو الأنبياء ولأن له مقاماً عظيماً في تحقيق التوحيد. وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ عليه في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وملة إبراهيم هي التوحيد؛ لأنه هو الذي تركه فيمن بعده، حيث قال عز وجل : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ وهذه الكلمة هي كلمة التوحيد. وهي:

(أَنْ تَعْبُـدَ الله وَحْدَهُ) لا شريك له، (مُخْلِصًـا) أي مفرداً (لَهُ الدِّينَ) أي القصـد والعبادة، ومتبرئا من عبادة من سـواه ومعتقداً بطلانها، والإخـلاص: أن يقصـد العبد بعمله رضا ربـه وثوابه. والإخلاص يكـون بصدق النيـة وعزيمة القلب في العمـل أن يكون لله وحده، ولا يكـون فيـه شيء لغير الله جل وعـلا ، فيصبح الإنسـان من ناحية سره وعلانيته سـواء. وهذا بيـان لحقيقة ملـة إبراهيم عليه السـلام . وسـميت الوظائف التي طلبها الله تعالى من المكلفين عبـادات، لأنهم يلتزمونها ويفعلونهـا متذللين خاضعين لله تعالى .

عباد الله: ومن ثمرات التوحيد والإخلاص لله ـ عز وجل ـ:

أولاً: أنه بتحقيق الإنسـان لتوحيد ربه وإخلاصه العبودية له تكمل له الطاعة ويخرج من قلبه تأله ما يهواه.

ثانياً: من أخلص في عبادة ربه صرفت عنه المعاصي والذنوب، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]، فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله، واختارهم، وأختصهم لنفسه.

ثالثـاً: من أخلص في عبادة ربـه فهو في حرز من الشـيطان. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقال الشيطان كما ذكر تعالى: ﴿... قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣].

رابعــاً: ثبت في حديث عتبــان بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».

(وَبِذَلِكَ) أي؛ بالعبادة الحنيفية الخالصة لله ـ سبحانه ـ.

(أَمَرَ الله جَمِيعَ النَّاسِ) من ذكر وأنثى؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبيــاء: ٢٥]

(وَخَلَقَهُمْ لَهَا) أي؛ للحنيفية ملة إبراهيم.

وهي الأمر بإخلاص العبادة لله وحده.

(كَمَا قَالَ تَعَالَى) في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريــات: ٥٦]. أي؛ إنما خلقتهم وهيأتهم لآمرهم بعبادتي ولتحصل منهم عبــادتي، لا لاحتياجي إليهم؛ فإن الله خلقهــم وأوجدهم لحكمة عظيمة؛ هــي عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما ســواه. وأفادت: أن الخلــق لم يخلقوا عبثاً، ولم يتركوا ســدى. وقدم الجن على الإنس؛ لقدمهم في الوجود، والجن عالم غيبي قائم بذاته، ويختلف عن الإنس؛ لأنــه مخلوق من نار، والإنس من طين، قال تعــالى ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٤ ـ ١٥].

وَمَعْنَــى ﴿لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾: أي (يوحدون)؛ بــأن يوحدوا ويفردوا قصد القلب في الأعمال لله ـ تعالى ـ. وأصل العبادة: التذلل والخضوع، وهي اســم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قــال ابن عبــاس: «كل موضع في القرآن اعبــدوا الله فمعناه وحدوا الله»

(وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ) أي؛ أعظم وآكد المأمورات فريضة الله على العباد علماً وعملاً، ولأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وبه تكفر الذنوب، وتستوجب الجنة وينجى من النار (التَّوْحِيدُ) وهو إفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات. وهذه كذلك أعظم ما نهى عنه وهو الشرك ولا يمكن أن يوجد توحيد إلا باجتناب الشرك وهو أمر لازم.

قال الشيخ حافظ الحكمي: «والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله ـ عز وجل ـ، ونفي الشرك، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك. وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيء من الأوامر، إلا جعله أولها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها، كما في آية النساء: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. وكما في آية الأنعام التي طلب النبي ﷺ البيعة عليها، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].. وغيرها من الآيات».

(وَهُوَ:) أي التوحيد (إِفْــرَادُ الله بِالْعِبَادَةِ). أي أن تكون العبادة خالصة لله ـ عز وجل ـ قولاً وفعلاً وقصداً، أن تعبد الله وحده لا تشرك به شــيئاً، لا تشرك به نبيًّا مرسلاً، ولا مَلكاً مقرباً، ولا رئيساً ولا ملِكاً، ولا أحداً من الخلق، بل تفرده وحــده بالعبادة؛ محبة وتعظيماً ورغبة ورهبة. والتوحيد أخذ من هذا، أن يوحد العمل، ويوحد من له العمل. (وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الــشِّرْكُ) نبه ـ رحمه الله تعالى ـ على أنــه يجب على العبد أن يهتم بذلك حتــى لا يكون ضالًّا أو ملتبســاً عليه الأمر؛ لأن الــشرك هو أعظم ذنب عُــصي الله به، وأي ذنب أعظم من أن يجعــل مع الله شريك في ألوهيته، أو أســمائه، أو صفاته، وكما أن الشرك أظلم الظلم، وأبطل الباطل، فهو هضم للربوبية وتنقص للألوهية، وســوء ظن بــرب العالمين، وهو أقبح المعــاصي، لأنه تســوية للمخلوق الناقص بالخالــق الكامل من جميع الوجوه. والشرك في الأصل: بمعنى النصيب؛ فمعنى أشرك مع الله غيره؛ أي؛ جعل لغيره نصيباً. (وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ)، أي؛ طلب غير الله مع الله، وسؤال غيره معه ـ سواء في الدعاء أو العبادة، من ملك أو نبي أو ولي أو شــجرة أو حجر، أو قبر أو جني، والاستعانة به، والتوجه إليه، وغير ذلك مــن أنواع العبادة. وعلى المرء أن يتعرف على الشرك؛ لأنه أعظم ما نهى الله عنه، وهو أنواع كثيرة وكلها تعود إلى شيء واحد وهو أن تكون العبادة أو شيء منها لغير الله ـ جل وعلا ـ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ﷺ خير خلق الله ودعاته.

أيها المسلمون: التوحيد أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، نصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس. والآجلة أعدت دار الثواب ودار العقاب، وأمرت الرسل بالجهاد. وإن أزكى الكلام، وركن الإسلام، ومفتاح دار السلام لا إله إلا الله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

عباد الله:

وأنواع الشرك الأكبر:

أولاً: شرك الدعاء: وهو أن يضرع إلى غير الله ـ تعالى ـ من نبي أو ملك أو ولي بقربة من القرب ـ صلاة أو استغاثة أو استعانة ـ أو يدعو ميتاً أو غائباً أو نحو ذلك مما هو من اختصاص الله ـ تعالى ـ، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥].

ثانياً: شرك النية والإرادة والقصد: بأن يأتي بأصل العبادة رياء أو لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها، والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئاً غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته..».

(وَالدَّلِيلُ) من كتاب الله ـ عز وجل ـ على أن أعظم ما نهى عنه الشرك؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي؛ أفردوه ـ جل وعلا ـ بالعبادة. ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء: ٣٦]. فلا تجعلوا معه أنداداً ولا نظراء ولا أشباه، لا في قليل الشرك ولا كثيره.

وهذا الآية جمعت بين الأمرين: الأمر بالعبادة، والنهي عن الشرك، مما يدل على أن العبادة لا تتم إلا باجتناب الشرك قليله وكثيره، لأن (شيئاً) نكره في سياق النهي فتفيد العموم؛ أي: لا تشركوا به شركاً أصغر ولا أكبر، لا ملكاً ولا نبيًّا ولا وليًّا، ولا غيرهم من المخلوقين، كما أنه ـ تعالى ـ لم يخص نوعاً من أنواع العبادة لا دعاء ولا صلاة ولا توكلاً ولا غيرها؛ ليعم جمع أنواع العبادة.

والشرك الأكبر مخرج من الملــة، وقد حرم الله الجنة على صاحبه، إذ ليس معه شيء من التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

وأمــا الشرك الأصغر فلا يخــرج من الملة، لكنه وســيلة إلى الأكبر، وصاحبه على خطر عظيم.

هذا وصلوا وسلموا...



٨ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ تعالى ـ أيها المسلمون، واعلموا أنكم إليه راجعون، وعلى أعمالكم مجزيون ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾ [البقرة: ٢٢٣].

أيها المسلمون:

ابتداء المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لبيان المقصود من تأليف رسالته «ثلاثة الأصول»، وما قبله من المهمات التي هي موطئات لهذا المقصود، من بيان الواجبات الأربعة، ثم الواجبات الثلاثة، ثم ما يتصل بذلك.

ودليل هذه الأصول الثلاثة مجموعة في قوله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**» [رواه مسلم].

وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره، وقد أوردها بصيغة السؤال وذلك من أجل أن ينتبه الإنسان لها،

---

(١) الأصول الثلاثة.

لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة، ولهذا فإنه يجب على كل مكلف من ذكر أو أنثى أن يعرفها؛ فإن ثبت على السؤال كان من الناجين، وإن ضل عن جواب تلك الأصول كان من الهالكين.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (فإذا) سُئلت عنها و(قيل لك:) في السؤال: (ما الأصول الثلاثة) التي يجب على كل مكلف معرفتها والعمل بمقتضاها.

والأصول جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة التي يتفرع منها الأغصان.

(ما الأصول الثلاثة التي يجب) وجوباً (على الإنسان المكلف معرفتها؟). (فقل:) أي؛ مجيباً للسؤال: الأصول الثلاثة هي: (معرفة العبد ربه) أي: معرفة العبد معبوده؛ لأن الربوبية في هذا المقام يراد بها العبودية. وسؤال الملكين للرجل في القبر من ربك؟ معناه: من إلهك؛ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون لا يمتحن أحد بها.

ومعرفة العبد ربه؛ بما تعرف به إليه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ من وحدانيته وأسمائه وصفاته، وهذا أصل الأصل فيجب علينا معرفته، لنعبده على بصيرة ويقين.

ودينه، ونبيه محمداً ﷺ أي: معرفة العبد معبوده؛ ومعرفة الله تكون بأسباب: منها النظر والتفكر في مخلوقاته ـ عز وجل ـ فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه، وتمام قدرته، وحكمته ورحمته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقال تعالى ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ

وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠] وغيرها من الآيات. ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وما فيها من المصالح العظيمة التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها. فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه ـ عز وجل ـ كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢] فيجب علينا معرفته ـ عز وجل ـ، لنعبده على بصيرة ويقين.

قال المؤلف: (معرفة العبد ربه ودينه) الذي تعبدنا به، وهو فعل ما أوجب علينا أن نفعله، وترك ما أوجب علينا أن نتركه. وكلفنا العمل به، وما تضمنه من الحكمة والرحمة ومصالح الخلق، ودرء المفاسد عنها، وهذا أصل عظيم، فيجب علينا معرفته.

وكذلك (معرفة العبد ربه ودينه) (ونبيه محمداً ﷺ) فإنه الواسطة بيننا وبين الله ـ عز وجل ـ، ولا طريق لنا إلى ما تعبدنا به إلا بما جاء به ﷺ. ومعرفة المسلم نبيه محمداً ﷺ، تحصل بدراسة حياته، وما كان عليه من العبادة، والأخلاق، والدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ، والجهاد في سبيله وغير ذلك.

وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم ذكرها بعد ذلك مفصلة أصلاً أصلاً، تتميماً للفائدة، وتنشيطاً للقارئ؛ فقال:

(الأصل الأول) من الأصول الثلاثة: معرفة الرب، (فإذا قيل لك: من ربك؟) أي؛ من هو معبودك وخالقك ورازقك الذي ليس لك معبود سواه؟

والرب في اللغة يطلق على الحفظ والرعاية وعلى الخالق المربي، والرب يطلق على المالك والسيد والمدبر والقيم والمنعم. وهذا كلها تجتمع في حق الله ـ سبحانه ـ فهو الخالق وهو المالك والمدبر، وهو القائم بشؤون خلقه، المنعم عليهم، المربي لهم بنعمه.

(فقل): مجاوباً عن السؤال (ربي الله الذي رباني) وأوجدني وأنعم علي بالتربية والغذاء وإزالة المضار التي تحول بين الإنسان ونموه وحياته، ورباني في روحي بالوحي الذي جاء به محمد ﷺ؛ وهو خالقي ومالكي، ومعبودي الذي أوجدني من العدم، ورباني بالنعم الظاهرة والباطنة. (وربى جميع العالمين بنعمه) أي؛ رباني أنا وربى جميع العاملين؛ أوجدهم من العدم، وغذاهم بالنعم، وأمدهم برزقه؛ ونعم الله لا تحصى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فلله نعمة الإيجاد، ونعمة التغذية، وسائر نعمه الظاهرة والباطنة.

وتربية الله للخلق نوعان:

الأول: تربية عامة: تشمل المؤمن والكافر، فالله ـ تعالى ـ ربى جميع الخلق بنعمه، خلق المؤمن والكافر، ورزقهم وأعطاهم السمع والأبصار والأفئدة، وأنعم عليهم بالنعم، وأدرّ عليهم الأرزاق.

الثــاني: تربية خاصة بالمؤمن، وهي تربيته بالإيمان، والعمل الصالح، بأن وفقــه الله وهداه، وهدى قلبه، وجعله يقبــل الحق ويرضاه ويختاره، ويؤثره على غيره هذه نعمة دينية خص الله بها المؤمن دون الكافر، فجعله يحب الإيمان، وزينه في قلبه، وجعله يكره الكفر والفســوق والعصيان، وجعله راشــداً، كما قال تعــالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [الحجرات: ٧ ـ ٨].

(وهــو معبودي) أي؛ هو وحده مألوهي لا غيره، كما أنه ـ ســبحانه ـ المنفرد بالخلق والرزق والتدبير (ليس لي معبود ســواه)؛ فهو المستحق بأن يُعبد وحده دون من ســواه، أفعل ما يأمرني به، وأترك ما ينهاني عنه، فليس لي أحد أعبده ســوى الله ـ عز وجل ـ؛ هذا مدلول كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. لأن الذي يســتحق أن يكون معبوداً هو القادر على الخلق، ومن لا يقدر على الخلق لا يستحق أن يكون معبوداً.

(والدليل قوله تعالى:) اســتدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لكون الله ـ ســبحانه وتعالى ـ مربياً لجميع الخلق؛ بقوله تعــالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ يعنــي الوصف بالكمال والجــلال والعظمة لله ـ تعالى ـ وحده، و﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ هو الاعتراف للمحمود والثناء عليه بصفات الكمال مع محبته وتعظيمه. وهذا قيد أساسي، فلو اعترف بالمحامد والأوصاف وذكرها، ولكن بدون محبة ولا تعظيم؛ فإنه لا يسمى حامداً.

قال السعدي: «والحمد هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه».

﴿لِلَّهِ﴾ الاسم الشريف، علم على ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لا يسمى به سواه. واللام هذه (لله) تسمى لام الاستحقاق. (والحمد لله) أول آية في المصحف، وآخر كلام أهل الجنة، وفيها تفرده بجميع الخلق وربوبيتهم وملكهم، وتصرفه فيهم بما شاء، وهو معبودهم ليس لهم معبود سواه، فإن الرب إذا أفرد دخل فيه المعبود، فهو المالك المتصرف المعبود وحده، دون كل من سواه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ جمع عالم من إنس وجن وملائكة وغيرهم، أي: مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم، والمدبر لهم، المتصرف بأحوالهم وأرزاقهم كما شاء ـ عز وجل ـ. قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والرب: هو المالك والسيد، ولا يطلق إلا على الله ـ تعالى ـ.

(وكل ما سوى الله) مما في الكون من الجن والإنس والجبال والأشجار وغير ذلك؛ فهو (عالم) والله ـ عز وجل ـ هو الخالق، وسمي العالم عالماً؛ لأنه علامة على خالقه وموجده ومالكه.

وأسماء الله ـ عز وجل ـ قسمان:

الأول: قسم خاص به ـ سبحانه ـ: لا يسمى به غيره مثل: الله، رب العالمين، خالق الخلق، مالك الملك، القابض، الباسط، النافع الضار، المعطي، المانع.

الثاني: قسم مشـــترك: يُطلق على الله وعلى غيره، وإذا سُمي الله به فله الكمال، وإذا سُمي المخلوق فله منه ما يناسبه، مثل: الرحيم، والسميع، والبصـــير، والعليم، والحي، ومنها (الملك) فهو من أســـماء الله، كما أنه يُســـمى به الملك من ملوك الدنيا، لكن ملك الله كامل، وملك المخلوق ناقص، ومسبوق بالعدم، ويلحقه العدم أيضاً وذلك بالزوال.

وكذلك (الحي) من أســـماء الله تعالى، والمخلوق حي، والله له الحياة الكاملة، والمخلوق له حياة تناسبه، حياته ضعيفة يلحقها الندم والموت والضعف، لكن حياة الله كاملة.

ثـــم قال المؤلف ـ رحمـــه الله ـ: (وأنا) أيها الإنســـان المتكلم، وأنت وجميع الخلق (واحد من ذلك العالم) جملة (ذلك العالم) كل من سوى الله، وســـمو عالماً لأنهم علم على خالقهم ومالكهم ومدبرهم، ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد؛ عالم الإنسان، وعالم الطير، عالم النبات، عالم الملائكة، عالم الجن، عالم الســـموات، عالم الأرضين وغيرها من المخلوقات العظيمة، فأنا مربوب لله ـ تعالى ـ، لأنه الله ـ تعالى ـ هو ربي.

أعوذ بالله من الشـــيطان الرجيم: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو الحكيم العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي العظيم، وأشهد أن نبينا محمداً الرسول الصادق الأمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

لا يزال المؤلف يذكر الأصل الأول من الأصول الثلاثة؛ وهو معرفة العبد ربه.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (فإن قيل لك) أي: سُئلت (بم) أي: بأي شيء (عرفت ربك) ـ عز وجل ـ، وبم استدللت به على معرفة ربك معبودك وخالقك؟ وهذا هو السؤال الثاني بعد السؤال الأول من ربك؟

(فقل) مجيباً لهم: عرفت ربي وإلهي معبودي (بآياته) أي؛ علاماته ودلائله التي أقامها دلالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية والألوهية، بما دلت وأخبرت به الرسل. وعرفته كذلك (بآياته ومخلوقاته) الباهرة التي أوجدها بعد العدم وجعلها دالة عليه، فكل شيء في الكون فهو دال على وحدانيته لأن الله أعطى الإنسان السمع والبصر والعقل؛ يشاهد هذه الآيات والمخلوقات ويراها؛ فهي دليل عليه ـ سبحانه ـ. وكذلك بالوحي الذي أنزل على رسله. فهذا هو الدليل على أنه هو الذي خلقني وهو الذي رزقني، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه.

والتفكر في مخلوقات الله العظيمة وعجائب صنعه مأمور به؛ فهو يزيد الإيمان؛ ويعلق القلب بالله ـ عز وجل ـ، فإن الله ـ عز وجل ـ أعطى الإنسان؛ السمع والبصر والعقل يشاهد هذه الآيات فهي دليل عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠] وقال ـ تعالى ـ مثنياً على عباده الذين يتفكرون في بدائع صنعه وعظيم خلقه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

(ومن) أعظم (آياته) وليست هي كلها الآيات. أي؛ علاماته ودلائل وحدانيته المشاهدة بالأبصار، وتتعاقب على مر العصور الدالة على وحدانيته، وسعة سلطانه، ورحمته بعباده إقبال (الليل) (و) إدبار (النهار) وعدم اجتماعهما في زمن واحد، قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠]. وفي الليل الراحة والسكن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧] وفي النهار السعي لطلب المعاش والأرزاق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ﴾ [الملك: ١٥]

والليل والنهار من نعم الباري على عباده، فجعل النهار لتحصيل المعاش والسعي في الأرض، وجعل الليل للراحة والسكون فلو كان الليل سرمداً

لتعطلت مصالح العباد. وقد تكرر ذكر الليل والنهار والشمس والقمر وخلق السـماوات والأرض، لأجل أن الإنسان يدوم ذكره ويبقى تذكره، فلا يغفل ولا ينسى. والليل والنهار يعرف بهما الجُمع والشـهور والأعوام، وحلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات.

عباد الله: ومن الآيات الباهـرات الدالة على وحدانية الله وتدبيره قوله: (والشمس) المشرقة بسراجها الكون، وما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشـجار والأنهار والبحار وغير ذلـك (والقمر) المضيء في الدهماء؛ فهو يبدو صغيراً ثم يكبر رويداً رويداً حتى يكمل ثم يعود إلى النقص.

وهما آيتان تجريان على مسار دقيق منتظم بديع أبهر الخلق، هذه تشرق وذاك يغرب، ووقفا أمام سـيرهما مندهشين، جري منظم، وسير متقن، لا يتقـدم ولا يتأخر، ولا يدرك أحدهما الآخر؛ منـذ أن خلق الله الكون. قال تعـالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ [يس: ٤٠] ولا يتغير مسار أحدهما إلى غير ما قدره الله ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس: ٣٨] والشمس والقمر مخلوقان مسخران دائبان، يجريان، وهما من آيات الله ـ تعـالى ـ بحجمهما وآثارها. وكل ذلك دلالة على تفرده ـ تعالى ـ بالخلق والتدبير؛ وهذه الصورة المشـاهدة دالة أعظـم دلالة على وحدانية خالقه وموجده ـ جل وعلا ـ. وكمال القدرة، وكمال الحكمة، وكمال الرحمة.

هذا وصلوا...



٩ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وتوحيده، ومنَّ علينا وتفضل بتسبيحه وتحميده، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وعد الشاكرين بمزيده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل رسله وأكرم عبيده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله وأنيبوا إليه.

عباد الله:

لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر دلائل وحدانية الله من مخلوقاته. قال: (ومن مخلوقاته) أي؛ ومن أعظم مخلوقات الله الدالة على وحدانيته ـ تعالى ـ. (السموات السبع) وسعتها وارتفاعها، واستدارتها، وعظم خلقها وبنائها، وتقدير أقواتها.

(والأرضون السبع) إي؛ ومن أعظم مخلوقاته الأرضون السبع في امتدادها وسعة أرجائها، فإن الله جعل الأرض فراشاً ومهاداً، وذللها لعباده

---

(١) من دلائل وحدانية الله.

وجعل فيها سبلاً، وجعل فيها أرزاقهم ومعايشهم. وقد أكثر الله ـ تعالى ـ من ذكر السموات والأرض في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الجاثية: ٣] وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر: ٥٧]. ثم لما ذكر السموات السبع والأرضون السبع قال: (وما فيهن) أي؛ وما في السموات السبع، من المخلوقات العظيمة؛ من الكواكب الزاهرة، والآيات الباهرة، وما في الأرضين السبع من الجبال والبحار، وأصناف المخلوقات، ومن الحيوانات والنباتات، وسائر الموجودات التي لا يعلمها إلا خالقها ـ سبحانه ـ. (وما بينهما) أي؛ وما بين السماء والأرض من الأهوية والسحاب، وغير ذلك كله أيضاً من المخلوقات العظيمة؛ دال على وحدانية الباري ـ جل جلاله ـ وتفرده بالخلق والتدبير. (والدليل) على أن الليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله ـ عز وجل ـ؛ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ أي؛ ومن بعض آياته الكثيرة ومن العلامات البينة المبينة لمدلولها (﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ في ذاتهما واختلافهما؛ وما أودع الله فيهما من مصالح العباد وتقلبات أحوالهم.

﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي؛ ومن أعظم آياته المشاهدة بالأبصار، الشمس والقمر، وكونهما يجريان هذا الجريان المتقن ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ كل ذلك دال أعظم دلالة على وحدانية موجدها ـ سبحانه وتعالى ـ.

والشــمس من آيات الله ـ تعالى ـ بحجمها وآثارها، أما حجمها فعظيم كبير، وأما آثارها فما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشجار والأنهار والبحار وغير ذلك.

ثم نهى الله ـ تعالى ـ العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغاً عظيماً في نفوسهم، لأنهما لا يستحقان العبادة لكونهما مخلوقين، وإنما المستحق للعبادة هو الله ـ تعالى ـ الذي خلقهن، قال تعالى: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ أي؛ وإن كان الشمس والقمر من المخلوقات العظيمة، فإن هذا لا يقتضي أن يسجد لهما، لأنهما مخلوقان مدبران، ولعل ظهورها تارة واختفاؤها تارة، كان من أسباب افتتان الناس بها، والدليل على أنها عبدت من دون الله قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه.

قال شــيخ الإســلام ـ رحمه الله تعالى ـ: «والشمس أعظم ما يرى في عالم الشــهادة وأعمه نفعاً وتأثيراً، فالنهي عن الســجود لها نهي عما هو دونها بطريق الأولى من الكواكب والأشجار وغير ذلك».

﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي؛ اعبدوه وحده ســبحانه، لأنه الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما ســواه من المخلوقــات وإن كبر جرمها وكثرت مصالحهــا، فإن ذلك ليس منها، وإنما هو مــن خالقها ـ تبارك وتعالى ـ لأن الســجود عبارة عن نهاية التعظيم، والشمس والقمر متصرف فيهما، يعتريهما التغيير، فلا يســتحقان أن يسجد لهما وإنما عبر بالسجود على

العبادة لأنه أفضل وأخص وأشرف أنواع العبادة، وهي أن يضع العبد جبينه على الأرض خضوعاً وذلاً وانكساراً وافتقاراً لله الواحد الأحد.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له وحده ـ سبحانه ـ، فكما أنه المتفرد وحده بخلق الليل والنهار، والشمس والقمر، وسائر المخلوقات فهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

ولما ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ الآية الأولى التي فيها دلالة على أن الليل والنهار، والشمس والقمر آيات الله الدالة على ربوبيته، عقب بهذه الآية التي يستدل بها ـ سبحانه وتعالى ـ على ربوبيته بخلقه للسماوات والأرض، وأنها من أعظم الدلائل والمعرفات التي تعرف بها ـ سبحانه ـ إلى عباده.

(وقوله تعالى) في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي المتفضل عليكم والمنعم لكم هو الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وما فيهن وأتقن خلقهما، وأحكم بنيانهما من غير مثال سبق، وتقدير أقواتها. ولعل تخصيص السموات والأرض بالخلق، في كثير من آيات القرآن؛ لضخامتها، وعظمتها فهي أدل على كمال القدرة الإلهية؛ لذلك استدل إبراهيم عليه السلام بخلقها على وجوب إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، كما قال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وفيه إخبار من الله ـ تعالى ـ بأن خلق هذا العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة.

منها أربعة أيام للأرض، ويومان للسماء. ولو شاء لخلقها بلحظة، ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته.

﴿ثُمَّ﴾ لما قضاها وأودع فيها من أمره ما أودع. ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ ـ جل وعلا ـ أي؛ علا عليه علواً خاصاً به كما يليق بجلاله وعظمته، وهذا عنوان كمال الملك والسلطان. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ العظيم الذي وسع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، استواء يليق بجلاله وعظمته كما هو مذهب السلف الصالح. والاستواء فعل خاص بالعرش، قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». وعرش الرحمن: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو فوق السموات كالقبة، وقد وصفه الله ـ تعالى ـ في القرآن بالعظمة والكرم والمجد، ولا يعلم قدره وصفته إلا الله ـ تعالى ـ.

وهو سبحانه ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾ أي؛ يأتي الليل المظلم فيغطي ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ المضيء، ويلبسه إياه حتى يذهب بنوره، فيظلم ما على وجه الأرض، ويسكن الآدميون، وتأوي المخلوقات إلى مساكنها، وجعل الليل غشاء للنهار، أي غطاء له، فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار، فيغطيه. والمعنى: يذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا. ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ أي كل منهما يطلب الآخر طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ أي؛ سريعاً دائما لا يتأخر عنه من غير فتور؛ كلما جاء الليل ذهب النهار، كلما جاء النهار ذهب الليل طلباً لا فتور فيه ولا تأخير، لا يفصل بينهما شيء، ولا يدرك أحدهما الآخر حتى يطوي الله هذا العالم وينتقل العباد إلى دار القرار. ﴿وَٱلشَّمْسَ

﴿وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ هــذا معطوف على الســموات، يعني خلق الســموات والأرض، وخلــق الشــمس والقمر، والنجــوم الثابتة والســائرة حالة كونها. ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ مذللات جارية بأمره وعلمه وحكمته وتدبيره، جارية في مجاريها بإذن الله، لا تتقدم ولا تتأخر، على أحسن نظام وأتمه، يأمرهن بما يشاء لمصلحة العباد. وكل ذلك دلالة وبيان على وجود خالقه ـ جــل وعلا ـ، ووحدانيته وقدرته، وكمال علمــه وحكمته. وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على ســعة رحمته، وذاك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ولهذا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي؛ بلى له الخلق والأمر، فهو المتفرد بالخلق، كما أنه المتفرد بالأمر، فلا شريك له في الخلق، كما أنه لا شريك له في الأمر، له الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير.

عباد الله: وفي الآية عموم ملكه وتمام سلطانه، حيث كان له الخلق والأمر لا لغيره. ﴿تَبَارَكَ﴾ أي؛ عظم وتعالى، وكثر خيره وإحســانه، فهو جل وعلا يثني على نفسه؛ فتبارك في نفســه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون من آثار رحمته ـ عز وجل ـ. ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ المنعم عليهم بخيراته وسابغ فضله، إله الخلــق ومليكهم، وموصل الخيرات إليهم، ودافع المكاره عنهم، والمتفرد بإيجادهم وتدبيرهم، لا إله إلا هو ولا رب ســواه. وفي هذه الآية دليل على معرفة الله بآياته ومخلوقاته، وفيهــا عموم ربوبيته للعالمين كلهم. وقد ذكر الربوبية في العالمين بعد ذكر هذه الأصناف من الآيات والمخلوقات.

ثم قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (والرب) الخالق لتلك المخلوقات العظيمة، من السموات السبع، وما فيهن وما بينهما، هو المالك المتصرف المتصف بصفات الكمال. (هو المعبود) أي؛ معبودكم، الذي يجب أن يعبد وهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ لأنه هو الذي ربى العباد بنعمه، وخلقهم وأوجدهم فهو المعبود. ومعنى المعبود: المألوه، المستحق أن يعبد وحده، دون كل من سواه.

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وشروح صدورنا للإيمان، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

(والدليل) على أن الرب هو المستحق للعبادة (قوله تعالى) في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نداء من الله ـ عز وجل ـ إلى الناس كافة مؤمنهم وكافرهم، وهو أول أمر في المصحف الكريم، أن يعبدوه وحده لا شريك له، فلا يجعلوا له أنداداً وهذا يفيد عظم شأن التوحيد، وأنه أوجب الواجبات، وأنه أول فرض على المكلف علماً وعملاً، وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله التي أوجب الواجبات العلم بمعناها، والعمل بما دلت عليه، من إفراد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك وأهله، وصدور العبادة من غير توحيد، لا يسمى عبادة، وليس بعبادة، وإذا صدرت ممن أشرك فيها مع الله غيره، فهي بمنزلة الجسد الذي لا روح فيها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ أي؛ وحدوا واخلصوا العبادة، وأطيعوا أمره واجتنبوا نهيه. والعبادة إذا جاءت المقصود بها التوحيد وليست مجرد الذل والخضوع والركوع والسجود والدعاء والذبح فهذه ليست عبادة شرعية حتى تكون خالصة لله ـ عز وجل ـ.

﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ فهو المنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة. والرب هو: الخالق، المالك، المدبر لجميع الأمور، وهو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ هذه

صفة كاشفة تعلل ما سبق، أي اعبدوه لأنه ربكم الذي أوجدكم من العدم بتقدير عظيم وصنع بديع ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ من العدم كذلك؛ وفيه تنبيه على دلالة الاختراع، خلقهم الله بعد أن لم يكونوا شيئاً وذكركم الله بهذه النعمة العظيمة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ أي؛ من أجل أن تحصلوا على التقوى. والتقوى: اتخاذ وقاية تحفظكم من عذاب الله باتباع الأوامر واجتناب النواهي. وهذه الآية فيها أمر، وهو أول أمر في القرآن، وهو أمر بعبادة الله ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ ولما كان مستحقا للعبادة جاء تعليلاً لما سبق.

ثم ذكر من صفاته سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ أي؛ ومن فضله ـ عز وجل ـ على عباده أنه جعل الأرض فراشاً ومهاداً وبساطاً مهيئاً تستقرون عليها، وتنتفعون بالأبنية والزراعة والسلوك من مكان إلى مكان وغير ذلك من وجوه الانتفاع، وشبهها بالفراش يستمتع فيها من غير مشقة ولا تعب كما ينام الإنسان على فراشه. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ أي؛ وجعل السماء بناء لمساكنكم، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس والقمر والنجوم التي تهتدون بها في ظلمات البر والبحر. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ وأنزل لكم من العلو من السحاب ماءً طهوراً، عذباً مباركاً، كما قال تعالى ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠﴾ [النحل: ١٠] وهو مادة الحياة للأحياء في الأرض، وأطلق عليه سماء؛ لأنه فوق، وكل ما علا وارتفع فهو سماء. ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ جمع ثمرة، والثمرة ما يخرج من الأرض من حبوب وخضار وزروع، وما تخرجه الأشجار من فواكه و﴿رِزۡقٗا﴾ طيباً ﴿لَّكُمۡۖ﴾ به ترتزقون وتعيشون وتفكهون؛

لتسمتعوا بالطيبات، وتستعينوا بها على طاعة الله، ومن كانت هذه نعمه فهو المستحق أن يعبد وحده، فاشكروا نعمه، ومن شكرها ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي؛ لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم، وأمدكم بالنعم أشباهاً ونظراء تصرفون لهم العبادة أو شيئاً منها، وهو الذي خلقكم وخلق الذين من قبلكم، وجعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل من السماء ماءً، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، لا تجعلوا له أنداداً تعبدونها كما تعبدون الله، أو تحبونها كما تحبون الله فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلاً ولا شرعاً. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أن الله ـ عز وجل ـ هو المستحق للعبادة وحده. وأنه لا ند له، وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير، فلا تجعلوا له شريكاً في العبادة وأفردوه بالعبادة.

وإذا عُبد الله تارة، وأشرك معه تارة، فليس بعابد لله على الحقيقة، كما سمى الله المشركين مشركين، وهم يعبدون الله ويخلصون له العبادة في الشدائد، وعند ركوب البحار وتلاطم الأمواج.

وهذه أول آية في القرآن فيها الأمر بالتوحيد. وهذه الآية نوعان من أنواع الدلالة على الربوبية، دلالة الخلق والأبداع، ودلالة العناية والإحكام التي أبطل الله بها اتخاذ المشركين للآلهة.

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ابن كثير) صاحب التفسير (رحمه الله تعالى) عند تفسير الآية: (الخالق) الموجد (لهذه الأشياء) من العدم من خلق الإنسان والأرض والسماء، وما فيهما من الخيرات والثمار (هو المستحق للعبادة). يعني ـ رحمه الله ـ أن هذا أمر ظاهر جلي ودليل لا خفاء فيه أن الله ـ جل وعلا ـ هو الذي يجب أن يُعبد.

ونصه ومضمونه؛ أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده، ولا شريك به غيره.

والمراد: أن الآيات دلت على أن الذي خلق هذه الأشياء، وأوجدها من العدم، على غير مثال سابق، هو المستحق للعبادة، وحده دون من لم يكن له شركة فيها، ولا في غيرها وإن قل، بل من سواه ـ تعالى ـ وتقدس، مخلوق مربوب، متصرف فيه، فيكون في ذلك أوضح برهان، أنه ـ سبحانه ـ هو المستحق أن يعبده وحده، دون كل من سواه لا إله غيره، ولا رب سواه.

هذا وصلوا وسلموا...



١٠ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله، الواحد الأحد، الفرد الصمد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد رسول الله، خير خلق الله ودعاته.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وأصلحوا العمل ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

أيها المسلمون:

لما تقرر أن الرب ـ عز وجل ـ هو المعبود، وأن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له؛ وأن نفرده بالعبادة وحده لا شريك؛ كان من المناسب أن يذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالته: «الأصول الثلاثة» أنواع العبادة التي يعبد الله ـ عز وجل ـ بها، والتي يجب إفراد الله ـ عز وجل ـ بها، وهذا هو الأصل الثاني.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ فتحصل أن أنواع العبادات هي: الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها.

---

(١) أنواع العبادة.

والقول: قد يكون باللسان وقد يكون بالجنان، فيدخل في قول اللسان أعمال كثيرة مما أمر الله ـ عز وجل ـ به، مثل الذكر وتلاوة القرآن، وقول المعروف وغير ذلك. وقول القلب: هو اعتقاده. والعمل: عمل الجوارح.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (وأنواع) وأصناف (العبادة) التي شرع الله لعباده القيام بها وتعبدهم بهم.

(التي أمر الله بها) عباده، وتعبدهم بها كثيرة جداً. ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ منها سبعة عشر مثالاً لأنواعها. (مثل الإسلام والإيمان والإحسان) أي؛ مثل هذه، وهذه الثلاثة أعلى مراتب الدين، وأهم وأعظم أنواع العبادة؛ فلذلك بدأ بها المؤلف.

وهذا من فضل الله على عباده؛ أن شرع لهم أنواعاً عديدة من العبادات يتقربون بها إليه، والمرء لا يعلم بأيها يدخل الجنة، ومما أمر الله به أمر إيجاب: إقام الصلاة، كما قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فهذا أمر إيجاب، فلا يجوز صرف الصلاة إلا لله، فإذا صلى لغير الله أشرك.

ومن أوامر الاستحباب: أمره ﷺ بالسواك كما في قوله: «**لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» [رواه البخاري] فالسواك عبادة مندوبة، يتسوك تعبداً لله ـ عز وجل ـ فلا تصرف تعبداً لغير الله.

والنهي نوعان: قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢] فالمرء يبتعد عن الزنا خوفاً من الله وتعظيماً له، وطمعاً في ثوابه، ويكون عابداً لله في هذا بكف نفسه عن الزنا.

ونهـــي تنزيه: كالنهي عن الحديث بعد صلاة العشـــاء، هذا نهي ليس بالكراهة، إذا ترك المرء الحديث بعد صلاة العشاء ممتثلاً لأمر النبي ﷺ، فإنه يعبد الله لذلك.

عباد الله: ولما ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من أنواع العبادة، ذكـــر أن (ومنه) أي؛ ومن أنواع العبادات أيضـــاً التي أمر الله بها.(الدعاء) وانـــزل الحوائج به ـ ســـبحانه ـ. مثل قولك: يا أرحـــم الراحمين. وقدم الدعـــاء؛ لأنه يجمع أنواعاً من العبادات، فالدعـــاء الذي هو التوجه إلى آخر بطلب ما، إما لجلب نفـــع أو دفع مكروه، أو رفع بلاء يتضمن رجاء المدعو، والرغبة إليه، وخشيته والتوكل عليه والاستعانة به، والاستعاذة به على حسب المطلوب، وقد يلجأ الداعي صاحب الحاجة إلى التقرب إلى المدعو؛ بذبح أو نذر، زيادة في إظهار الحاجة، وإلحاحاً بإجابة دعوته.

(والخوف) منه ـ جل وعلا ـ، وهو خـــوف العبادة، وخوف السر، أما خوف الإنســـان الطبيعي كخوفه من الســـبع والنار والغرق فهذا لا يلام عليـــه العبـــد، قال ـ تعالى ـ عن موسى ـ عليه الســـلام ـ: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصـــص: ١٨] لكن إذا كان هذا الخوف ســـبباً لترك واجـــب أو فعل محرم كان حراماً، قال تعـــالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥].

(و) مـــن أنواع العبادة كذلك: (الرجاء) وهو تأمل الخير وقرب وقوعه، والطمع بما عند الله، كأن يرجو الميت أن يدخله الله الجنة، وأن يجنبه من النار. هذا هو رجاء العبادة.

(و) كذلك (التوكل) وتفويض الأمور إليه، والاعتماد عليه. (وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها) كبر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، وحسن الخلق، وكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فهو عبادة. والعبادة تشمل جميع أنواع الطاعات وتتضمن كمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الرجاء والخشية والإجلال والإكرام.

وجميع أنواع العبادة (كلها لله ـ تعالى ـ) لا يصلح منها شيء لغير الله. (و) أن (من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر والدليل) على ذلك كله (قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾) أي أماكن الصلوات، أو أعضاء السجود كلها ملك ﴿لِلَّهِ﴾ جل وعلا ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ ولا تسجدوا لغيره، ولا تشركوا في الأرض ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ كائناً من كان، فإن الأرض جميعها ملك لله وحده، فأفردوه فيها بالعبادة. والمقصود هنا بالدعاء دعاء العبادة ويدخل فيه دعاء المسألة. (فمن صرف) أي؛ من هذه العبادات مثل أن يدعو غير الله من الأموات والغائبين، أو رجاهم أو خافهم، أو سألهم عن قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو غير ذلك (شيئاً) ولو يسيراً (فهو مشرك) الشرك الأكبر المخرج من الملة، لأنه صرف بعض خصائص الله لغير الله. (كافر) الكفر الأكبر المخرج من الملة. والشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد، وهو الكفر بالله، واسم لمن لا إيمان له، وقد يفرق بينهما، فيخص الشرك بقصد الأوثان، وغيرها من المخلوقات، مع الاعتراف بالله، فيكون الكفر أعم؛ لأنه قد يوجد كفر بلا شرك كاليهودي الذي لا يعبد الأصنام وإنما يعبد الله ولكنه لم يؤمن بمحمد ﷺ يكون كافراً وإن لم يكن مشركاً.

(والدليل) على أن العبادة حق، وأن من صرفها لغير الله وقع في الشرك والكفر، (قوله تعالى:) ﴿وَمَن يَدْعُ﴾ ويصرف أي نوع من أنواع العبادة.

﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ من الأموات، أو الأوثان، أو الأحجار، أو غيرها ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي لا حجة له ولا بينة ودليل ظاهر، لأنه لا حجة لأحد في دعوى الشرك. وهذا خرج مخرج الغالب الواقع، وإلا كل داع يدعو غير الله ليس له برهان. ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ وعقابه وهو حساب لا فلاح معه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي؛ جزاؤه عند الله ـ سبحانه ـ فيجازيه لما يستحقه على شركه، وهو حساب لا فلاح معه وهو الخلود في النار، وفيه تهديد عظيم؛ لأنه ذكر الحساب وأنه يكون عند الله ـ جل وعلا ـ دل على أنه سوف يفجؤه به فيبدو له ما لم يكن يحتسب في ذلك المكان. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ أخبر ـ تعالى ـ أنه لا يفلح الكافرون، سماهم كافرين لدعائهم مع الله غيره، والفلاح هو الفوز بالظفر المرجو، فالكافر لن يفلح فهو خاسر وخائب. ولا ينازع مسلم في كفر من دعا مع الله غيره، وفي الآية أوضح برهان على كفر من دعا مع الله غيره، سواء كان المدعو ملكاً، أو نبياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنيًّا.

وهذا يدلنا على أن شرك المشركين كان عبادة الله ولكنهم يعبدون معه غيره وما كانت العبادة خالصة للأصنام وإنما كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره.

عباد الله:

ولما ذكر المؤلف أنواعاً من العبادات مجملة، شرع في ذكر أدلتها، فبدأ بالدعاء الذي هو أصل العبادات وأساسها، وتليها تفصيل أدلة الإسلام والإيمان والإحسان.

قــال ـ رحمه الله ـ: (وفي الحديث) الذي يدل على أن الدعاء من أنواع العبــادة، ما رواه الترمذي وهو ضعيف ولكــن معناه صحيح ودلت عليه آيات وأحاديث ثابتة، أن النبي ﷺ قال: («الدعاء») وســؤال الله الحوائج («مــخ») أي؛ لب وخالص، ومعناه أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء، كما أن الإنســان لا يقوم إلا بالمخ، وإنمــا كان الدعاء مخ العبادة لأنه يدل على الإقبال على الله ـ تعالى ـ والإعراض عما ســواه. («مخ العبادة») التي أمر الله بها الخلق، كــما يفسره الحديث الآخر أن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» [رواه أبو داود] فجعل الدعاء هو عين العبادة.

ودعــاء غير الله أكثر أنــواع الشرك وقوعاً بين الخلــق في قديم الزمن وحديثه. ومنه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم.

والدعاء نوعان: دعاء مسألة؛ ودعاء عبادة:

فدعاء المســألة هو دعاء الطلب، أي: طلب الحاجات، وهو عبادة إذا كان من العبــد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إلى الله ـ تعالى ـ واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثلــه من المخلوقين إذا كان المدعو يعقــل الدعاء ويقدر على الإجابة كما في قول القائل: يا فلان أطعمني مما معك من الطعام.

وأما دعــاء العبادة: فإن يتعبــد به المدعو طلبــاً لثوابه، وخوفاً من عقابــه، وهذا لا يصح لغير الله، لأنه يــدل على الإقبال على الله ـ تعالى ـ والإعراض عما ســواه، وصرفه لغير الله شرك أكــبر مخرج عن الملة،

وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

وقد جاء الدعاء في القرآن على وجوه: منها العبادة ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ ومنها الاستغاثة ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ ومنها السؤال ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ ومنها القول ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ والنداء ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ والثناء ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ﴾.

(والدليل) على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك (قوله تعالى:) ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ وخالقاكم وموجدكم. ﴿ٱدْعُونِيٓ﴾ وأنزلوا بي حوائجكم ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ استجب طلبكم، وأتقبل عملكم وأعطيكم سؤلكم، ووجه الدلالة من الآية: أن الله ـ جل وعلا ـ سمى الدعاء عبادة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ويعرضون ﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾ ودعائي. ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ أي حقيرين ذليلين صاغرين يجتمع عليهم العذاب والإهانة؛ جزاء لهم على استكبارهم عن عدم مسألة الله ـ جل وعلا ـ. وقد أخبر ـ عز وجل ـ في الآية أن الذي منعهم من عبادة الله هو الاستكبار، فجوزوا بهذا الجزاء الفظيع والوعيد الشديد.

وفيها: أن الله ـ تعالى ـ أمر بالدعاء ووعد بالإجابة. وأن الدعاء عبادة عظيمة، بل من أجل العبادات لا يجوز صرفها لغير الله ـ تعالى ـ.

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

عباد الله: ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عبادة أخرى، وهي الخوف، من الله ـ عز وجل ـ وهي عبادة من العبادات القلبية، بل هو ركن العبادة الأعظم، ولا يستقيم إخلاص الدين لله، الذي أمر الله به عباده إلا به.

والخوف: هو الذعر، وانزعاج القلب بتوقيع مكروه أو أذى أو ضرر عاجل، أو هلاك. وقد نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده وأول الآية ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ يعظمهم في صدوركم، ويوهمكم أنهم ذو بأس، فنهاكم أن تخافوا أولياءه الذين خوفكم إياهم، (ودليل) كون (الخوف) عبادة من العبادات لا يصرف إلا لله (قوله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾) أي: المشركين فإن نواصيهم بيدي، وفيه نهي عن الخوف من غير الله، ثم قال: ﴿وَخَافُونِ﴾ في مخالفة أمري، وتوكلوا علي، فإني كافيكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ بي؛ جعل حصول الإيمان مشروطًا بالخوف منه ـ عز وجل ـ، فكما أنه إذا دعا غير الله، أو سأل غير الله انتفى عنه الإيمان، فكذلك إذا خاف غير الله، خوف السر، مثل أن يخاف أن يفعل به شيئاً بسره. والخوف المقصود به الخوف الذي

يكون فيه التعظيم، أما الخوف من ظالم أو متسلط أن يناله بظلمه، يخاف من بطشه فهذا لا يكون عبادة وليس من العبادة، وهو يقع للناس كثيراً حتى يقع للأولياء، ولهذا قال موسى ـ عليه السلام ـ : ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ وهذا خوف طبيعي.

فإن الخوف أنواع، منها خوف السر، فإذا خاف من غير الله فيما يقدر عليه إلا الله، فهو مشرك كافر. قال السعدي: «﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيهم وضلالهم».

قال شيخ الإسلام: «الخوف من الله يستلزم العلم به، والعلم به يستلزم خشيته، وخشيته تستلزم طاعته».

وقال ـ رحمه الله ـ: «فما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه، ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث، فسد فساداً لا يُرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه».

وقد ذكر ـ عز وجل ـ منزلة الخائف منه فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

والخوف من الله يكون محموداً يحمل المسلم على فعل الواجبات وترك المحرمات، وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط. فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

قال ابن تيمية: «الإنســـان إذا لم يخف من الله اتبع هواه» وأما الخوف الشركي: فهو الخــوف الذي لا يجوز صرفــه إلا لله الواحد الأحد، فإن صرفــه العبد لغير الله أصبح بذلك مــشركاً شركاً أكبر، يخرج به عن دائرة الإســلام، كالذي يخاف من أهل القبور والأضرحة، أن يضروه بشيء من نفسه أو بدنه أو ماله أو ولده، والذي يخشى من الأولياء والمشايخ بذاتهم أن ينالوه بأذى مع بعدهم الكبير عنهم، وخفاء أحواله عنهم، فهو الخوف بالغيب، وهذا النوع لا يجوز صرفه إلا لله وحده.

هذا وصلوا...



١١ الخطبة الأولى (١)

الحمـــد لله، يُحمد بنعمته، وتُنال كرامته برحمته، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾[القصص: ٧٠]، أشـــهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشـــهد أن محمداً عبده ورســـوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فوصية الله للأولين والآخرين تقواه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[النساء: ١٣١].

أيها المسلمون:

خلـــق الله الخلـــق لعبادته وحـــده، والدخول تحت أمـــره ونهيه، قال ســـبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريـــات: ٥٦]، وقال تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾[البقرة: ٢١] وما أُرســـلت الرســـل، وأنزلت الكتب، وقام سوق الجنة والنار إلا لأجل هذه الحقيقـــة العظيمة، ولإخراج العباد من داعية أهوائهم؛ إلى عبادة خالقهم ومولاهم.

---

(١) من أنواع العبادة: الرجاء والتوكل.

عباد الله:

ذكر المؤلف في رسالته «ثلاثة الأصول» أنواع العبادة التي أمر بها: مثل الإسلام، والإيمان والإحسان؛ ومنه الدعاء وذكر أدله ذلك من الكتاب والسنة.

ثم ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ من أنواع العبادة: الرجاء، وهو طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب، والرجاء المتضمن للذل والخضوع عبادة قلبية من أجلّ العبادات؛ لا يكون إلا لله ـ عز وجل ـ وصرفه لغير الله شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي. والرجاء هو توقع الخير، يرجوه ويتوقعه أن يحصل له، فتوقع الخير من الله عبادة، كون الإنسان يتوقعه من الله وينتظره فإنه عبادة لله ـ جل وعلا ـ وهو معنى أن الله يجلب المنافع لعباده، (ودليل) أن (الرجاء) عبادة استدل به المؤلف (قوله تعالى): ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ ويأمل ويطلب وينتظر ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ وموعوده وثوابه. ولقاء رضا ونعيم، ويخاف عقابه. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو الخالص من الرياء، الموافق لشرع الله من واجب أو مستحب. ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ أي؛ لا يجعل مع الله شريكاً في عبادته؛ لا رياء ولا سمعة ولا يصرف العبادة لغير خالقه، بل يجعل أعماله كلها خالصة لوجه الله، فمن جمع بين الإخلاص والمتابعة نال ما يرجو ويطلب، ومن عدم ذلك فإنه خاسر وفاته القرب

من مـولاه، ونيل رضاه، وفي قوله: ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦ﴾ إشـارة إلى علة النهي عن الشرك، أي: فكما أنه ربك الذي خلقك ورباك ولم يشـاركه أحد في خلقك، فيجب أن تكون العبادة له وحده لا شريك له.

ومن رجا غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله، كمغفرة الذنوب، أو شـفاء مريض، فقد صرف تلك العبادة لغير الله، ووقع في الشرك الأكبر لأن هذا طمع في شيء لا يملكه إلا الله وصرف عبادة الرجاء إلى غير الله.

عبـاد الله: والفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسـن التوكل، أما التمني فيكون مع الكسل، قال تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧] وابتغـاء الوسـيلة إليه: طلـب القرب منه بالمحبة والعبودية بالطاعة وأنواع القربات.

والرجـاء المحمود لا يكون إلا لمن عمـل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب مـن معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.

والواجـب على العبد أن يحقق رجاءه، فلا يعلقه إلا بالله ـ تعالى ـ، لا يعلقه بقوته، ولا بعمله، ولا يعلقه بمخلوق. وعلى الإنسـان أن يعلم أنه كلما قوي رجاؤه، وطمعه في فضل الله ـ تعالى ـ ورحمته وتيسـير أموره،

ودفع ضرورته، قويت عبوديته لربه وحرِّيته مما سواه، وإن رجا مخلوقاً أو تعلــق به، انصرف قلبه عن العبودية لله ـ تعالى ـ وصار عبداً لغيره بقدر ما قام في قلبه من التعلق والرجاء. فذل لغير الله وخضع.

قــال ابن القيــم: «كلما قوي الرجاء، جد صاحبــه في العمل، كما أن الباذر كلما قوي طمعه في المغلِّ، غلق أرضه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه، قصر في البذر».

ثم ذكر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ عبادة أخرى من العبادات القلبية وهــو (التوكل)؛ وهــي الثقة بما عند الله واليأس عــما في أيدي الناس؛ وهو إسناد الأمر إلى من بيده القيام بذلك، وهذا من أفضل الأعمال كون الإنســان يعتمد على ربه، وهو صدق التفويــض والاعتماد على الله في جميع الأمور، وإظهار العجز والاستسلام له، وحقيقته أنه يجمع شيئين: تفويض الأمر إلى الله ـ عز وجل ـ، وعدم رؤية السبب بعد عمله.

والتــوكل عبادة من أجــل العبادات، بل هو أجل أنــواع العبادات، وأعلى مقامــات التوحيد، فلا يفوض عبد أموره ولا يعتمد إلا على الله ـ عــز وجل ـ، فهــو القادر على كل شيء، بيــده الملك وهو على كل شيء قدير، وإذا كان ذلك كذلك فالمخلوق وإن كان له نوع قدرة فلا يعتمد عليه ولو فيما أقدره الله عليه، بل يعتمد العبد على الله ـ عز وجل ـ

وحـــده، فالتوكل عبادة قلبية، فإن اعتمد على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فذلك هو الشرك الأكبر.

والتوكل؛ هو الاعتماد على الله في حصول النتيجة بعد فعل الأسباب، ثم تعتمد بقلبك على حصول النتيجة، هذا خاص بالله، تفعل الأســباب التــي أمرك الله بها، تطلب الرزق، تبيع وتشــتري، يكــون في يدك مهنة، تحرث الأرض وتبذرها، تفعل الأســباب ثــم تتوكل على الله في حصول الثمرة والفائدة لا على غيره.

أيها المسلمون: والتوكل على الله نوعان:

أحدهما: توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الرزق والعافية وغيرهما. فغايته مطلوبة، وإن لم تكن عبادة، لأنها محض حظ العبد، والتوكل على الله في حصوله عبادة، فهو منشأ لمصلحة دينه ودنياه.

وثانيهــما: تــوكل عليه في تحصيــل مرضاته ـ عز وجــل ـ، فغايته عبادة، وهو في نفســه عبادة، فلا علة فيه بوجه، فإنه استعانة بالله على مــا يرضيه، فصاحبه متحقق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

(ودليل) أن التوكل عبادة لا يصرف إلا لله (قوله تعالى) في كتابه الكريم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ الأمر يدل على وجوب التوكل، أي؛ عليه وحده ـ ســبحانه ـ لا على غيره.

﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ لا على غيره. أي؛ اعتمدوا، وفوضوا أموركم إليه ـ سبحانه ـ في جلب المنافع ودفع المضار، وهو من تمام الإيمان لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ أي؛ إن كنتم مؤمنين بالله ـ جل وعلا ـ فعليه توكلوا. فإخلاص التوكل على الله، شرط في صحة الإيمان، ينتفي عند انتفائه.

وفي الآية أن إثبات التوكل عبادة، وإثبات أن هذه العبادة لا يجوز صرفها لغير الله ـ عز وجل ـ والتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب المنافع ودفع المضار شرك أكبر.

والتوكل على الله ـ تعالى ـ نوعان: توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الرزق والعافية وغيرهما، وتوكل عليه في تحصيل مرضاته.

قال ابن القيم: «فجعل التوكل على الله شركاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، فمن لا توكل له لا إيمان له».

وقال ـ رحمه الله ـ: «التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها».

قال شيخ الإسلام: «ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خُذل..».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لا زال الحديث عن التوكل، وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على من يتوكل عليه فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي؛ كافيه ما أهمه في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ويثق به في تسهيل ذلك؛ ومن كان الله ـ جل وعلا ـ كافيه تيسرت أموره، ولا مطمع لأحد فيه، وهو يدل على عظم شأن التوكل وفضله، حتى إنه لم يأت في أي عبادة من العبادات أن الله قال ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ إلا في مقام التوكل.

وأمر تعالى بالتوكل عليه في سبعة مواضع من القرآن: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]. والتوكل على الله عبادة الصالحين، وسبيل المخلصين، أمر الله تعالى به أنبياءه المرسلين، وأولياءه المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

ومن فضلية التوكل أن الله تعالى جعله سبباً لنيل محبته؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] ومن فضيلته أنه دليل على صحة إسلام المتوكل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

قال ابن تيمية: «وكذلك قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ فإن التوكل والاستعانة هي من عبادة الله، لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد

بخصوصها، فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة، إذ هو ـ سبحانه ـ لا يعبد إلا بمعونته».

قال بعض السلف: «من سره أن يكون أقوى الناس فيتوكل على الله».

والتوكل أنواع:

الأول: التوكل على الله ـ عز وجل ـ، وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به.

الثاني: توكل السر؛ بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة أو دفع مضرة؛ فهذا شرك أكبر، لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبيًّا، أو وليًّا، أو طاغوتاً عدواً لله ـ تعالى ـ.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير، مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه، فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب، وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.

قال شيخ الإسلام: «من تدبر أحوال العالم، وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله؛ ومن تدبر هذا حق التدبر، وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموماً وخصوصاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

هذا وصلوا وسلموا...



١٢ الخطبة الأولى(١)

الحمد لله، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره على نعمه الجمة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه للعالمين هدى ورحمة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خيار الأمة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا المعاصي فإن أقدامكم وأجسامكم على النار لا تقوى. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾.

عباد الله:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «ثلاثة الأصول» أنواعاً من العبادات القلبية من أجلِّ العبادات، وصرفها لغير الله شرك أكبر، منها: الرجاء والتوكل. ثم ذكر إتماماً لهذه العبادات عبادة عظيمة وهي:

(الرغبة): ومعناها: السؤال والتضرع والابتهال مع محبة الوصول إلى الشيء المحبوب، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يرغب إليه وحده فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٨].

---

(١) من أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع.

(والرهبــة): وهي الخوف والفزع المثمر للهــرب من المخوف، فهي خوف مقرون بالعمل، وهي ضد الرغبة. والخشــوع: هو الخضوع لله ـ تعالى ـ والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح. والتطامن والتذلل لعظمة الله، ومحله القلب، وثمرته على الجوارح وهي تظهره.

(ودليل) أن (الرغبة) فيما عند الله (والرهبة) من عذابه وعقابه (والخشوع) والخضــوع له وحده، وأنها من أنــواع العبادات ما ذكره الله تعالى عــن الأنبياء والصالحين كلًّا على انفــراده في معرض الثناء عليهم في (قوله تعالى): (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾) أي؛ الأنبياء، ويســابقون ويبادرون إليهــا، ويفعلونهــا في أوقاتها الفاضلــة، ويكملونها على الوجــه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها إلا انتهزوا الفرصــة فيها (﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾) والطاعات وعمل القربات (﴿وَيَدْعُونَنَا﴾) وحدنا لا غيرنــا (﴿رَغَبًا﴾) فيما عندنا من الثواب (﴿وَرَهَبًا ۖ﴾) مما عندنا من العقاب (﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾) خاضعين متذللين متضرعين، وذلك لكمال معرفتهم بربهم.

فأثنــى الله ـ تعالى ـ عليهــم ومدحهم بهذه الصفــات، ولا يمدح إلا من كان عابداً لله ـ تعالى ـ وهــذه الآية دلت على ثلاثة أنواع من العبادة، فالرغــب والرهب والخشــوع خاص بالله، لا يرغب إنســان إلا لله، ولا يرهــب إلا منه، والمراد بالرغب والرهب هنــا العبادة، والرغبة والرهبة لا تقوم إلا على ســاق الصبر، فرهبته تحمله على الصبر، ورغبته تقوده إلى الشــكر، وعبادتا الرغبة والرهبة تحسران عن العبد بقدر ذنوبه، وتزيدان بزيادة إيمانه، والعبد يناله التوفيق بإذن الله بقدر تلك العبادة.

قال ابن القيم: «إذا أراد الله بعبده خيراً، وفقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق».

عباد الله: وفي هذا الآية الكريمة وصف الله ـ تعالى ـ الخلص من عباده بأنهم يدعونه ـ تعالى ـ رغباً ورهباً مع الخشوع له، والدعاء هنا شمل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده، وطمعاً في ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله بين الخوف والرجاء، ويُغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

قال بعض العلماء: «يُغلب جانب الرجاء في حال المرض، وجانب الخوف في حال الصحة، لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله ـ عز وجل ـ، وفي حال الصحة يكون نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك».

ومن العبادات كذلك (الخشية): بمعنى الخوف؛ إلا أن الخشية أخص من الخوف، لأن الخشية مقرونة بمعرفة الله، وعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] والخشية عبادة عظيمة لا تصرف إلا لله ـ عز وجل ـ. (ودليل) أن (الخشية) عبادة من أجل العبادات، أن الله ـ تعالى ـ نهى المسلمين عن خشية الكفار وأمر

بخشيته وحده لا شريك له، (قال تعالى:) ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ أي؛ لا تخشوا الناس لأنهم ليسـو أهلاً للخشية ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] لأن خشيتـه ـ تعـالى ـ رأس كل خير، فمن لم يخـش الله لم ينكف عن معصيته ولم يمتثل أمره. وخشية المخلوق من المخلوق ذل وخضوع لمن لا يستحق ذلك، ومثلها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾.

ثم ذكر المؤلـف ـ رحمه الله تعالى ـ عبادة مـن أجل العبادات وهي الإنابة، وهي توجه القلب إلى الله بالتوبة والرجوع إليه، واجتناب معصيته، مع العمـل الذي يتضمن الذل والتعظيم وهي عبـادة جليلة يثاب عليها المسـلم، لا يُنيب الإنسان إلى غير الله. لا ينيب إلى المخلوق ولا يتوب إلى المخلوق، يطلب منه أن يغفر لـه ذنوبه، كما يفعل النصارى، الذين يتوبون إلى قسـيس فيغفر لهم، ويعطيهم صك الغفران إلى الجنة، وهذا شرك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وأصـل الإنابة محبة القلب وخضوعه وذله للمحبوب، فمن لا يُحب لا يُناب إليه. والمنيب إلى الله هو المسرع إلى مرضاته السباق إلى محابه، المجانـب معاصيه ومخالفته، والقلب المنيـب إلى الله ـ عز وجل ـ إذا أناب إليه فإنه يرجع، وقد قام به أنواع من العبودية منها: الرجاء والخوف والمحبة ونحو ذلك. (ودليل الإنابة) على ذلك (قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾) أي؛ وأقبلـوا إلى ربكم، وارجعـوا إليه بالطاعة لا إلى غيره. قال ابن تيمية في معنى الآية: «فـإن الإنابة إلى الله والمتاب، هو الرجوع إليه بعبادته، وطاعته، وطاعة رسوله».

﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي؛ أخلصوا له التوحيد، واستسلموا وأطيعوا لأحكام الله الشرعية، والإنابة إلى الله دأب الأنبياء والمرسلين كما ذكر الله ـ عز وجل ـ عنهم، قال ـ تعالى ـ عن داود ـ عليه السلام ـ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ [الشورى: ١٠] والمسلم مأمور بالإنابة إلى ربه، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾. وصرفها لغير الله شرك.

قال السعدي: «الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد عن محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن خوفه مقرون بمعرفة الله. وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد لله ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه فهذا خشوع خاص. وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة».

قال ابن تيمية: «فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته».

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ خير من عبد الله حق عبادته واتقى.

عباد الله:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عبادة أخرى، هي (الاستعانة) بالله وأنها من أجل العبادات وأعظمها.

والاستعانة بالله هي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لله ـ عز وجل ـ، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته، وطلب العون منه وهذه لا تكون إلا لله ـ جل وعلا ـ، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ وقيد ﴿إِيَّاكَ﴾ ليفيد الحصر والاختصاص، أي: نخصك وحدك بالعبادة ونخصك وحدك بالاستعانة، فلا نعبد إلا أنت.

والاستعانة عبادة عظيمة، ومما يعين عليها قوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله» وفي الحديث: «**إذا استعنت فاستعن بالله**» [رواه الترمذي].

(ودليل الاستعانة:) قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾.

قال السعدي: «تقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه ـ تعالى ـ على حق عبده... وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة

بالله، واجتناب النواهي». (وفي الحديث: «... وإذا استعنت فاستعن بالله») أي؛ إذا كنت متوجهاً للاستعانة فلا تستعن بأحد غير الله؛ فعليك أن يكون استعانتك وطلبك العون من الله ـ تعالى ـ لأنه القادر على كل شيء، وغيره العاجز. والمراد بالاستعانة هنا استعانة العبادة أيضاً، أما الاستعانة في الأمور العادية فلا بأس ما دام حيًّا حاضراً قادراً على الإعانة.

قال السعدي: «هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة في تحصيل ذلك».

عباد الله: وفي هذا الحديث حصر الاستعانة بالله وحده، دون غيره من الخلق، والدلالة على أنها أجل العبادات، وعليها مدار الدين، فإذا استعان أحد بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك الشرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام: «تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾».

والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وسر الخلق والكتب والشرائع، والثواب والعقاب، يرجع إلى هاتين الكلمتين وعليهما مدار العبودية والتوحيد. والأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوة، وهذا المعنى في غير آية من كتاب الله، وتقديم المعمول على العامل: يفيد الحصر، أي: نستعين بك وحدك، دون كل من سواك، فهذا النوع: أجل أنواع العبادة، فصرفه لغير الله شرك أكبر، وكذا قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: لا نعبد أحداً سواك، فالعبادة لله وحده، والاستعانة به وحده، ـ جل وعلا وتقدس ـ. فمن صرف هذا النوع من العبادة لغير الله ـ تعالى ـ فقد وقع في الشرك المخرج من الملة.

أما من استعان بمخلوق على أمر يقدر عليه؛ فإن كانت في أمر خير وبر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٢] وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البقرة: ٤٥] وإن كانت على مباح فهي جائزة مشروعة للمعين ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

وإن كانت على حرام فهي حرام على المستعين والمعين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ وأما الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك، لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيًّا في الكون.

هذا وصلوا وسلموا...



١٣ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله، له الحمد في الأولى والآخرة وإليه المرجع والمعاد، أشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له، وأشـهد أن نبينـا محمداً عبد الله ورسوله، أرسـله الله رحمة للعالمين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلوات ربي وسلامه عليه،وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

عباد الله:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في رسـالته «ثلاثـة الأصول» عبادة الاسـتعاذة؛ والاسـتعاذة طلب الإعـاذة أي ـ الحمايـة ـ وهي الالتجاء والاعتصام والحماية من مكروه، سـواء كان المسـتعاذ منه عدواً بشراً أو شـيطاناً. والاسـتعاذة بالله هي الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، واعتقاد كفايته، وتمام حمايته من كل شر؛ ويدخل في الاستعاذة بالله ـ عز وجل ـ: الاسـتعاذة بصفاته، والاستعاذة بكلماته وبعزته، كما ورد: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» [رواه مسلم] «**وأعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد**

---

(١) من أنواع العبادة: الاستعاذة والاستغاثة.

وأحاذر» وفي لفظ: «**أعوذ بعزة الله وقدرته**» [رواه مسلم]. وطلب العون يكون باللســـان بقول أحد لآخر: أعوذ بك، أعذني، ونحـــو ذلك،ولكنها تقوم بالقلب، أي: يقوم بالقلب الاعتصام بهذا المطلوب منه العوذ.

(ودليل) أن (الاستعاذة) من العبادات التي أمر الله بها وهي تجمع بين أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه (قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾) يا محمد متعوذاً والخطـــاب لجميع أمته، وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاســـتعاذة بغير الله.

﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أي؛ اعتصـــم والتجأ وأتحصن. ﴿بِرَبِّ﴾ وخالـــق ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ وهو الصبح، والمعنى: أن مـــن فلق الإصباح وتخليص الليل من النهار؛ وأن القادر على إزالة هذه الظلمة مـــن العالم قادر على أن يدفع عن هذا المستعيذ ما يخافه ويخشاه.

(و) قوله تعالى: (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ﴾ وخالق ﴿ٱلنَّاسِ﴾ خالقهم ومصلح أحوالهم وقد أمر الله ـ عز وجل ـ نبيه ﷺ أن يستعيذ برب الناس، وما دام أنه أمر بها فهي عبادة، لأنه لا يأمر إلا بشيء يحبه ويرضاه.

والاستعاذة بالله: هي المتضمنة لكمال الافتقار إلى الله، والاستعاذة بـــالله والاعتصام به من أجـــل العبادات، أما الاســـتعاذة بالأموات أو بالغائبـــين الإحياء، أو بالأحياء القادرين غـــير الحاضرين، فهذا شرك أكـــبر، كما قال تعـــالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

قال الشيخ السعدي عند قوله تعالى ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: «وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس وجن وحيوانات، فيُســـتعاذ بخالقها من الشر الذي فيها».

والاستغاثة: عبادة، وهي طلب الإغاثة والغوث، وهو الدعاء من المكروب وطلب الإنقاذ من الضيق والشدة، وهي عبادة عظيمة وهي أخص أنواع الدعاء، فإن دعاء المكروب يقال له استغاثة، والاستغاثة بالله ـ عز وجل ـ من أفضل الأعمال وأكملها، وهو دأب الرسل وأتباعهم.

(ودليل) أن (الاستغاثة) عبادة: (قوله تعالى:) في كتابه الكريم ﴿إِذْ﴾ أي: اذكروا نعمة الله عليكم لما قارب التقاؤكم بعدوكم فقمتم ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ وتستجيرون ربكم، وتطلبون منه المدد والعون والنصر ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ لأنه هو القادر على ذلك، وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى كثرة المشركين وجعل يدعو ويناشد ربه ويطلب منه النصر، ويهتف بربه مستقبلاً القبلة: «**اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**» [رواه مسلم] فأمدهم الله بنصره وعونه. ووجه الاستدلال: أنه أتى بها في معرض الثناء عليهم، وأنه رتب عليها الإجابة، ومادام الله ـ عز وجل ـ يحبها وقد رضيها منهم؛ فدل ذلك على أن الاستغاثة عبادة من أجل العبادات، وأن صرفها لغير الله شرك، والاستغاثة بغير الله كالاستغاثة بالأموات أو الأحياء الغائبين شرك بالله ـ تعالى ـ والاستغاثة عمل ظاهر، ولهذا يجوز أن يستغيث مخلوق بمخلوق، لكن بشروطه؛ وهي: أن يكون هذا المطلوب منه حيًّا، حاضراً، قادراً، يسمع، فإذا لم يكن حيًّا، وكان ميتاً صارت الاستغاثة بهذا الميت كفراً.

عباد الله: والفرق بين الاستغاثة والاستعاذة: أن الاستعاذة تطلب منه أن يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك، والاستغاثة تطلب منه أن

يزيل ما فيك من شدة، وهذا لا يكون إلا لله ـ سبحانه ـ القادر على كل شيء، والاستغاثة كالاستعاذة تتضمن كمال الافتقار إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ واعتقاد كفايته.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عبادة الذبح، وأنها من أعظم العبادات، والمراد: ذبح القربات لله ـ تعالى ـ، من الضحايا والهدايا ونحو ذلك، وأنه عبادة من أفضل العبادات وأفضل القربات إلى الله تعالى، والمقصود منها: إراقة الدم. وإراقة الدم ـ من حيث هو ـ لا يكون إلا بتعلق للقلب، فإذا أراق الدم لله ـ عز وجل ـ تعلق القلب بالله تعالى.

قال ابن تيمية: «إراقة الدم لله أبلغ في الخضوع والعبادة له، فالذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ فالمقصود: تقوى القلوب لله وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له، والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والإخلاص، وهذه ملة إبراهيم الخليل» (ودليل الذبح: قوله تعالى: ﴿قُلۡ﴾) يا محمد لهؤلاء المشركين، الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره ﴿إِنَّ صَلَاتِى﴾ أي؛ جميع صلواتي ﴿وَنُسُكِى﴾ أي؛ ذبحي، والناسك المخلص لله، قال الطبري: «النسك الذبائح في الحج والعمرة».

وقد جمع في الآية بين الصلاة، والذبح لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح وبذل ما تحبه النفس من المال إلى ما هو أحب إليها وهو الله؛ فمن صلى لله، ذبح لله، وفي هذا إثبات توحيد العبادة. ويضاد إخلاص الذبح لله تعالى، الذبح لغيره من المخلوقات

كائنـــاً من كان، ولو لملك مقرب، أو نبي مرســـل، فضلاً عن ولي صالح أو غيرهم، والذبح لغير الله تعالى يكون إما بتســـمية غيره عند الذبح، أو بـــأن يقصد التقرب إلى غير الله ـ ســـبحانه ـ بالذبيحة. ﴿وَمَحْيَايَ﴾ أي ما أحيا عليه من العمل الصالـــح ﴿وَمَمَاتِي﴾ أي ما أموت عليه، وفي هذا إثبات لتوحيد الربوبيـــة. ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ أي خالص ومختص بالله خالق ومالك ومدبر العالمين، وهم كل من ســـوى الله ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ أي؛ لا مشـــارك له في شيء من ذلك، ولا في غيره من أنواع العبادة. كما أنه لا شريك له في الملك والتدبير.

ثم بين أن هذا من علامات الإسلام العظيمة، فقال: ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ القول والطريـــق ﴿أُمِرْتُ﴾ أي؛ بذلـــك الإخلاص لله ـ عـــز وجل ـ. أمرني الله ـ تعالى ـ أمراً حتماً لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ أي؛ اسبقهم انقياداً إلى الإسلام، لكمال علمه بالله ـ تعالى ـ.

قـــال في (قرة عيون الموحدين) أن هذه الآية دلت على أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يصرف منها شـــيئاً لغير الله كائناً من كان؛ فمـــن صرف عنها شـــيئاً لغير الله، فقد وقع فيما نفـــاه ـ تعالى ـ من الـــشرك بقوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد في عبادته وبيانه، ونفي الشرك والبراءة منه».

عبـــاد الله: وقد جمع ـ تعالى ـ: بين هاتـــين العبادتين، اللتين هما أفضل العبـــادات، وأفضل القربات لله ـ تعالى ـ في هذه الآية، كما جمع بينهما في الآية الثانية. وهي قولـــه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ أي: أخلص لربك الصلاة، ونحر البدن ونحوها، على اسمه وحده جل وعلا.

فالصلاة: أفضل العبادات البدنية، والذبح: أفضل العبادات المالية. وإنما كان الذبح أفضلها، لأنه يجتمع فيه أمران، الأول: أنه طاعة لله. والثاني: أنه بذل ماله،وطابت به نفسه، والبذل مشترك في جنس المال، لكن زاد الذبح على غيره، من حيث أن الحيوانات محبوبة لأربابها ويوجد لذبحها ألم في النفوس من شدة محبتها، فإذا بذله لله، وسمحت نفسه بإيذاق الحيوان الموت، صار أفضل من مطلق العبادات المالية، وكذلك ما يجتمع له عند النحر، إذا قارنه الإيمان والإخلاص، من قوة اليقين،وحسن الظن بالله أمر عجيب، فصرفه لغير الله شرك أكبر.

وفي هذه الآية جعل هذه الأمور الأربعة: الصلاة والنسك والمحيا والممات، جعلها جميعاً باللام مؤخرة بقوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لكن تختلف، الصلاة والنسك لله استحقاقاً، والمحيا والممات لله ملكًا، فجمعت هذه الآية بين توحيدي الله ـ عز وجل ـ: في إلهيته وهو الأول، وفي ربوبيته وهو الثاني.

(ومن السنة): أي؛ والدليل على أن الذبح عبادة من سنة الرسول الله ﷺ (قوله) ﷺ: «لعن» اللعن: الطرد والإبعاد، والملعون من حققت عليه اللعن أو دعي عليه. «لعن الله من ذبح لغير الله» دل الحديث على أن الذبح عبادة، لأن الله لعن من صرفه لغيره، والعبادة كلها مختصة بالله، فإذا صرفها أحد لغير الله، بأن ذبح للأصنام، أو للقبور المعبودية من دون الله، التماساً لشفاعة أربابها، أو للجن، أو لقدوم سلطان أو نحو ذلك فهو مشرك كافر.

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله، عظم شأنه، ودام سلطانه، أحمده، ـ سبحانه ـ وأشكره، عم امتنانه، وجزل إحسانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، به علا منار الإسلام، وارتفع بنيانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

عباد الله: التوحيد أصل الدين وأساسه وأول أركانه، وهو جماع الخير، ولا تقبل حسنة إلا به، والعمل القليل معه مضاعف، وبدونه الأعمال الصالحة حابطة وإن كانت أمثال الجبال.

وهو أغلى ما يملك المسلم، ومنَّة من الله عظيمة، يهبها لمن يشاء من عباده. ومن هداه الله إليه فليعض عليه بالنواجذ، وليصنه مما يناقضه أو يقدح فيه، أو ينقصه. وعلى المسلم أن يسعى لتحقيقه في نفسه وذريته والأقربين من أهله، ومن جميع الناس.

أيها المسلمون: ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عبادة النذر، فقال:

(ودليل) أن (النذر) عبادة أي دليل كون النذر من العبادة؛ لا يجوز صرفها إلا لله ـ عز وجل ـ، (قوله تعالى:) ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ استئناف لبيان الأعمال التي نالها بها الأبرار هذا النعيم؛ والمعنى: يتعبدن لله بما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.

والنذر: أن يلزم الإنســان نفسه شيئاً غير لازم بأصل الشرع فيلزم نفسه بصدقــة أو صيام أو صلاة أو غير ذلك. والجمهور على أن النذر مكروه، وإذا صرف لغــير الله وقع في الشرك، كأن ينذر لصاحب القبر أو ينذر بأن يصلي لشخص.

والنذر المحمــود، غير مكروه في الشرع، وهو المطلق الذي ليس فيه مقايضــة ولا مقابلة، مثــل أن يقول قائل: لله عــلي أن أصلي الليلة عشر ركعــات طويلات، بدون مقابلة، هذا إيجاب المرء على نفســه عبادة لم تجب عليه دون أن يقابلها شيء، هذا النوع مطلق، وهذا محمود.

والثاني: نذر مكروه، وهو: الذي يكون عن مقابلة. وهو أن يقول قائل مثلاً: إن شــفى الله ـ عز وجل ـ مريضي صمت يوماً؛ فهذا يوجب عبادة على نفسه مشروطة بشيء يحصل له قدراً من الله ـ عز وجل ـ .

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ فيه إشــارة لحســن عقيدتهــم وصلاحهم واجتناب المعاصي ﴿كَانَ شَرُّهُۥ﴾ أي؛ شــدائده وعذابه ﴿مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ أي؛ فاشياً منتشراً غاية الانتشار إلا من رحم الله. والمراد بهذا اليوم يوم القيامة.

ووجــه الدلالة من هذه الآية على أن النذر عبادة: أن الله مدح المؤمنين بالنذر، وكل أمر مدحه الشــارع، أو أثنى على من قام به فهو عبادة، ولهذا أمر الله بالوفاء به في قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] أي؛ أعمال حجهم، وسميت نذوراً لأن من أحرم بالحج فقد ألزم نفسه إتمامه.

ومن صرف النـــذر لغير الله، فقد صرف عبادة عـــن العبادات لغير الله ووقع في الشرك. ومن نذر لمخلوق لم ينعقد نذره ويحرم عليه الوفاء.

مثل أن يقول: إن شـــفى الله مريضي فللولي الفلاني عليّ نذر بكذا وكذا، فهذا على المقابلة، ولو كان على هذا النحو، فصرفه لغير الله ـ عز وجل ـ شرك أيضاً، لأن في قوله: «إن شفى الله مريضي» هذا ربوبية، وقوله «فللولي الفلاني علي نذر» هذا شرك في العبودية، فهو أقر بالربوبية، ولكنه أشرك في العبودية، هـــذا جهة النذر، الوفاء لأصحاب القبور أو نحوهم، أو الجن، أو الملائكة، هذا كله شرك. فلو حصل منه النذر لغير الله، فلا يجوز أن يوفي به، فإن وفى به لغير الله فسيكون ذلك شركاً بعد شرك.

هذا وصلوا...


١٤



الخطبة الأولى [١]

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: ـ عباد الله ـ فاتقوا الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

أيها المسلمون: لما فرغ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من الأصل الأول؛ وهو معرفة العبد ربه؛ وشرحه وبسطه، وبين فيه أن ربنا هو الله ـ عز وجل ـ وهو معبودنا وحده، وعرفناه بآياته ومخلوقاته، وذكر بعض أنواع العبادة وأنها لا تصرف إلا لله، وأن صرف شيء منها لغيره شرك، شرع في ذكر (الأصل الثاني) من أصول الدين الذي لا ينبني إلا عليها وهو (معرفة دين الإسلام بالأدلة) وهو الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ، وجعله خاتمه الأديان، وأكمله لعباده، وأتم به عليهم النعمة. وذلك (بالأدلة) من الكتاب والسنة ليكون على نور وبرهان وبصيرة، لأن ذلك من أسباب الثبات عند السؤال في القبر بتوفيق الله ـ تعالى ـ.

ودين الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة وعدم الإباء أو التضجر، والبراءة من الشرك وأهله (وهو): أي دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه ﷺ، الذي تدين الله به يقوم على ثلاثة أسس:

---

(١) معرفة دين الإسلام.

الأول: الاستسلام لله بالتوحيد. والثاني: الانقياد لله ـ تعالى ـ بالطاعة. والثالث: البراءة من الشرك ومن أهل الشرك. فهذه الأسس الثلاثة هي التي ينتظمها دين الإسلام.

أما الأول: فهو (الاستسلام لله بالتوحيد) أي؛ بالذل والخضوع له ـ تعالى ـ، بإفراده بالربوبية والخلق والتدبير، وإفراده ـ تعالى ـ بالتوحيد بجميع أنواع العبادة. وحقيقة دين الإسلام: هو أن يسلم العبد أفعاله لله لا لغيره.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ: «الإسلام: هو الاستسلام، وهو يتضمن الخضوع لله وحده، والانقياد له، والعبودية لله وحده».

فالمستسلم لله ولغيره مشرك، والممتنع عن الاستسلام له متكبر، ومن استكبر عن الخلق ابتلاه الله باتباع الباطل؛ ومع ذلك العبد مع خضوعه لله يجب عليه الانقياد والإذعان له ـ جل وعلا ـ بالطاعة بفعل الطاعات وترك المنهيات، طاعة لله ـ تعالى ـ وابتغاء مرضاته، ورغبة فيما عنده، وخوفاً من عقابه. وهذا هو الإسلام الذي يحمد عليه العبد، ويثاب عليه.

وقوله (بالتوحيد) هذا شامل لتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والمعنى: أن يستسلم ويخضع لله ـ عز وجل ـ وأن يفرده بربوبيته وألوهيته.

الأساس الثاني: قوله و(الانقياد له بالطاعة) هذا تفسير للاستسلام، والطاعة تشمل المأمور والمحظور، الطاعة في المأمور بالفعل، والطاعة في المحظور بالترك.

الأســاس الثالــث: (والبراءة من الشرك) أي؛ أن يتبرأ منه، ويتخلى منه، وهذا يســتلزم البراءة من أهله أي (و) يتبرأ من (أهله) في الاعتقاد والعمل والمســكن، بل من كل خصلة من خصالهم، ومن كل نســبة من النسب إليهم، معادياً لهم أشد معاداة، غير متشبه بهم في قول أو فعل. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنــة: ٤]. ولا يتم دين الإنســان إلا إذا تبرأ من الشرك، وأهل الشرك، فلم يشاركهم في اعتقاد، ولا في قولة، ولا عمل، ولا مسكن، ولا يتشبه بهم أو يأخذ شيئاً من عاداتهم أو من تقاليدهم.

وأصــل البراءة البُغــض في القلب، أي: بغض الــشرك وأهله، ويتبع البغض أشــياء: أولاً: معاداتهم. ثانياً: تكفيرهم، أي تكفير من كفره الله ـ عز وجل ـ ورسوله. ثالثاً: قتالهم عند مشروعية ذلك.

ثــم بين المؤلــف ـ رحمه الله تعــالى ـ (أن الدين) (وهــو) أي الدين الإســلامي (ثلاث مراتب) بعضها فوق بعــض، وكل مرتبة أرفع من التي قبلها فالإســلام هو أولهما؛ لأن الإنسان قد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً إيماناً ينجو به من عذاب الله، وقد يكون مؤمناً ولا يكون محسناً.

ومراتب الدين الإســلامي هي: (الإســلام) مرتبة، وهو إقامة الأعمال الظاهرة: الشــهادتان مع الأركان الأربعة المعروفة؛ إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصــوم رمضان، وحج البيت، مع بعــض الإيمان الذي يصحح هذا الإسلام الظاهر، (والإيمان) مرتبة، وهو الإيمان بأركانه الستة، بالله، وملائكته، وكتبه، ورســله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، مع بعض

الإسلام الظاهر مع بعض العمل الظاهر، الذي معه يصح هذا الإيمان الباطن، (والإحسان) مرتبة، وهو مقام المراقبة لله ـ عز وجل ـ (وكل مرتبة) من مراتب الدين (لها أركان) لا تقوم إلا عليها؛ سميت بذلك تشبيها لها بأركان البيت الذي لا يقوم إلا بها، فمراتب الدين لا تتم إلا بأركانها. (فأركان الإسلام خمسة) لا يستقيم إلا بها، ولا يثبت بدونها، وما فقد منها زال الإسلام بفقده، ودليل ذلك حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**» [رواه البخاري].

وقدم الأهم فالأهم من أركان الإسلام، فبدأ بقطبها وهي: (شهادة أن لا إله إلا الله) وهي الاعتقاد أن لا إله معبود بحق إلا الله ـ جل وعلا ـ. (وأن محمداً رسول الله) أي؛ وتعتقد وتشهد أن نبينا محمد رسول الله ﷺ، أرسله الله للناس كافة بشير ونذيراً. مبلغ عن الله، ولكنه ليس إله يُعبد بل هو مكلف بإبلاغ الرسالة، وأكرمه الله ـ عز وجل بذلك، فالشهادة له بالرسالة والعبودية من تمام شهادة أن لا إله إلا الله.

عباد الله: وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ركن واحد، وإنما كانتا ركناً واحداً مع أنهما من شقين لأن العبادات تنبني على تحقيقهما معاً، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله ـ عز وجل ـ وهو ما تضمنته شهادة أن لا إله إلا الله، واتباع الرسول ﷺ هو ما تضمنته شهادة أن محمداً رسول الله. وهذا الركن من أصل الدين وأساس الملة، وأعظم الأركان، وهما مفتاح دار السلام، فبالشهادتين يدخل المسلم في الإسلام، وعليهما يموت المسلم.

(و) الركن الثاني من أركان الإسلام: (إقام الصلاة) أي؛ أداؤها في وقتها بشروطهـا وأركانها وواجباتها، وفي قوله (إقـام الصلاة) لأن إقامتها هي أن تعطيهـا حقها وذلك بأن يصلي على الإخـلاص، وعلى رغبة ورهبة، ويؤديها بشروطهـا، وحدودها، وقيامها، وركوعها، وحضور القلب فيها، أو متابعة الإمام فيها، والطمأنينة فيها وأدائها في وقتها.

(و) الركن الثالث (إيتـاء الزكاة) أي؛ أداء ما افترض الله على العبد من الزكاة. ووضعها حيث أمر الله ـ جل وعلا ـ.

(و) الركن الرابع (صوم) شهر (رمضان) بالإمساك عن سائر المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، ممن يجب عليه الصيام.

(و) الركـن الخامس: (حج بيت الله الحرام) أي؛ قصد بيت الله الحرام لأداء شعيرة الحج. والحج لا يجب على المسلم إلا مرة واحدة في عمره كله وما زاد فهو تطوع. فهذه مباني الإسلام التي ابتنى وتركب منها؛ وكل ركن من أركان الإسلام له دليل.

ثـم بدأ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بذكر الأدلة على الأركان. (فدليل الشهادة) أي؛ شهادة أن لا إله إلا الله (قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾) وشهادته ـ سـبحانه ـ، هي أعظم شـهادة في الوجود لعظم الشاهد والمشهود به. ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ يسـتحق العبادة ﴿إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه وتعالى، فلا معبود بحق في الوجود إلا هو وحده، فهو الإله الحق المسـتحق للعبادة وحده دون كل ما سـواه. ومعنى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي حكم وأعلم وأخـبر. ثم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ شـهدوا بأنه لا إله إلا هو كما شـهد الله بذلك

لنفســه المقدسة، ثم ﴿وَأُوْلُواْ﴾ أي؛ أصحاب ﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾ الشرعي الذي هو نور القلوب وحياتها شهدوا بذلك أيضاً أنه لا إله إلا هو، وهذا دليل على فضل العلم وأهلــه، لأن الله ـ عز وجل ـ خصهم بالذكر دون بقية البشر، فقد خصهم ـ تعالى ـ بالذكر وقرن شــهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة. ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي؛ قائمــاً بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال.

وهذه الشــهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد والمشهود به، فالشاهد هو الله وملائكته وأولوا العلم، والمشــهود به توحيــد الله في ألوهيته وتقرير ذلــك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ فهــو ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يرام جنابه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

وقــد تضمنت هــذه الآية الكريمة أجل شــهادة وأعظمهــا، وأعدلها وأصدقها، من أجلّ شــاهد بأجل مشهود،، وتضمنت توحيده ـ تعالى ـ وعدله وعزته وحكمته.

(ومعناها) أي؛ ومعنى هذه الكلمة العظيمة؛ كلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله (لا معبود) أي؛ لا مألوه بحق يستحق العبادة (بحق) ويجب أن يؤتى في بيان معناها بهذا القيد وهو كلمة (بحق) إلا الله؛ لأن المعبودات من دون الله كثيرة ولكنها معبودات باطلة، ولهذا فلا أحد يســتحق العبادة (إلا الله) وحده. وفيها نفي الإلهية عن غير الله، وإثباتها لله وحده.

(لا إلــه نافياً جميع ما يعبــد من دون الله). و(إلا الله مثبتــاً العبادة لله وحده)، والإثبات في كلمة الإخلاص هو قولك: (إلا الله).

قال ابن رجب: «والإله هو الذي يطـاع فلا يعصى، هيبة له وإجلالاً، ومحبــة وخوفاً، ورجاءً وتوكلاً عليه، وسـؤالاً منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ـ عز وجل ـ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التــي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله: (لا إله إلا الله) ونقصاً في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسـب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك...»

فهو سبحانه (لا شريك له في عبادته) وألوهيته (كما أنه) ـ جل وعلا ـ (لا شريك له في ملكه) وربوبيته وخلقه، أي؛ فكما أنه ـ سبحانه ـ المتفرد في ملك هذه الكون لا شريك له فيه، فواجب أن يفرد في العبادة، فإن من أظلم الظلم أن يجعل المخلوق الذي ليس شريكاً لله في الملك، شريكاً لله في العبوديــة، ولهذا يحتج ـ تعالى وتقدس ـ على من أنكر ألوهيته بما أقر به من ربوبيته فإن توحيد الربوبية هو الدليل على توحيد الإلهية.

(وتفســيرها) أي؛ شهادة أن لا إله إلا الله (الذي يوضحها) ويبينها بياناً تاماً، من القرآن، وأن معناها لا معبود بحق إلا الله، وأنه لابد فيها من النفي والإثبات، والتخلية قبـل التحلية؛ وقد بين هذه الكلمة العظمة ولم يكل عباده في بيان معناها إلى أحد ســواه ما ذكــره الله ـ تعالى ـ في كتابه عن عبده ورســوله وخليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ في (قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ إمام الحنفاء ﴿إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾ الذي اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهــم ويتقربون إليها، تبرأ منهم بقوله ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي؛ بريء ومبغض ومجتنب ومعادي لكم يا أهل الشرك، وكذلك بــريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ من دون الله من الأصنام والأوثان، وهذا فيــه معنى لا إله ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي؛ برأني وابتدأ خلقي فإني أعبده، وفيه معنى إلا الله.

قال ابن عثيمين: «وفي قول إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ ولم يقل إلا الله فائدتان:

الأولى: الإشارة إلى علة إفراد الله بالعبادة؛ لأنه كما أنه منفرد بالخلق فيجب أن يفرده بالعبادة.

الثانية: الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام؛ لأنها لم تفطركم حتى تعبدوها، ففيها تعليل للتوحيد الجامع بين النفي والإثبات وهذه من البلاغة التامة في تعبير إبراهيم ـ عليه السلام ـ».

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ ويرشدني لدينه القويم وصراطه المستقيم ويوفقني له؛ لأن الهداية بيده وحده، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فالخليل ـ عليه السلام ـ، تبرأ من آلهتهم سوى الله، ولم يتبرأ من عبادة الله، بل استثنى من المعبودين ربه ﴿وَجَعَلَهَا﴾ إبراهيم الخليل كلمة التوحيد؛ وهي البراءة من كل معبود سوى الله ﴿كَلِمَةَۢ﴾ عظيمة ﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ ونسله وذريته ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ لعل أهل مكة وغيرهم إليها ﴿يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ إليها من الشرك إلى تحقيق هذه الكلمة،فيقتدون بمن هداه الله من ذريته إليها، والدليل على أنه جعلها باقية في عقبة قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة: ١٣٢].

وفي الآية أن إبراهيم خليل الرحمن ـ عليه السلام ـ يتبرأ من الآلهة التي عليها قومه، ويلزم من هذا أن يتبرأ منهم أيضاً، وهو تبرأ من الشرك وأهله مع أنهم أقرب الناس إليه: أبوه وقومه.

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، لا معبود بحق سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

(و) دليل الشهادة أيضاً من هذه الآيات الدالة على معنى لا إله إلا الله (قوله) تعالى ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم من المشركين ﴿تَعَالَوْاْ﴾ وأقبلوا وهلموا ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ واحدة لا غير ﴿سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ كلمة عادلة لا يختلف فيها رسول ولا كتاب وهي كلمة التوحيد، نستوي نحن وإياكم في فرضيتها ووجوبها علينا وعليكم؛ ثم فسرها بقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ ولا نوحد ولا نفرد العبادة لأحد وهذا نفي ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وحده ـ جل وعلا ـ وهذا إثبات ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا وثناً ولا صنماً ولا صليباً ولا غيرها، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له وهذا لبيان أن العبادة لا تتم إلا بالتخلي عن الشرك؛ لأن من عبد الله وأشرك معه غيره لم يحقق المعنى المطلوب من العبادة، لأن المعنى المطلوب من العبادة هو إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة كما دلت

عليه كلمة الإخلاص. وكان ﷺ يجعل هذه الآية في مكاتباته إلى ملوك الدول، كتب بها إلى هرقل عظيم الروم، وإلى كسرى عظيم الفرس، وإلى المقوقس ملك مصر.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي؛ لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله؛ في تحليل شيء أو تحريمه خلافاً لما أمر الله كما فعلت اليهود والنصارى، قال تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وهذا من مقتضيات الإخلاص ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ وامتنعوا وأعرضوا عن الإجابة إلى إفراد الله بالعبادة وأن ينقادوا إلى هذه الكلمة العظيمة ﴿فَقُولُواْ﴾ أنتم يا أمة محمد ﷺ ﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤﴾ أي؛ فأعلنوها لهم، بأننا مسلمون، مخلصون لله بالتوحيد دونهم، لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والنعم، غير متخذين أحداً ربًّا، لا عيسى ولا عزير، ولا الملائكة. بريئون مما هم عليه من العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) أي؛ صرحوا لهم وبينوا مشافهة إنكم مسلمون، وإنهم كفار، وأنكم برآء منهم، وهم براء منكم، وهذه دال على أنه لا بد أن تبين الكفار، حتى يفهموا ويتحققوا إنهم ليسوا

على دين، وأن دينــك خلاف دينهم الذي هم عليــه، وأن دينهم خلاف دينك. وعلى هــذا فلا يجوز طاعة العلماء ولا الأمراء ولا الرؤســاء في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، ولا الحكم بين الناس بغير ما أنزل الله، قال تعــالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غافر: ١٣] وغيرها من الآيات.

هذا وصلوا....



١٥ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً، من ركن إليه كفــاه وآواه، واكتنفه وحماه، وكفى بالله وكيلاً، وأشـــهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عبــاد الله ـ واذكروا وقوفكم بين يديه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أيها المسلمون: بعد أن ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «ثلاثة الأصول» شـــهادة أن لا إله إلا الله، ذكر هنا شـــهادة أن محمداً رسول الله؛ فقال: (ودليل شـــهادة أن محمداً رسول الله) من القرآن (قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾) أي؛ من جنسكم، وتعرفون نسبه وصدقه، ليس بملك لا يتمكنون من ســؤاله، بل بشر يتمكنون من سؤاله بما شاؤوا من أمور دينهم ودنياهم وهو من أشرافهم وأكرمهم حتى ســـمي قبل مبعثه بالأمين. وهذا من فضل الله كونه ﷺ منا ونعرفه ويتكلم بلغتنا.

وقد امــتن الله على هذه الأمة ببعثة نبينا محمــد ﷺ وكمله بالصفات العظيمــة فهــو ﷺ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي على منفعتكم، ودفع الضر عنكم، يشق عليه كل أمر يعنِّت أمته، أو يشق عليها، قال ﷺ «**إن هذا الدين**

---

(١) شهادة أن محمداً رسول الله.

يسر» وشريعته سمحة سهلة، ومع ذلك فهي كاملة. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ بهدايتكم وإنقاذكم من النار. فالرسول ﷺ حريص أشد الحرص على هداية أمته، وبذل في ذلك وسعه ﷺ وتعرض للأذى في سبيل ذلك. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ عطوف على المؤمنين ومحب لهم كل خير، وأما هدايته فهي عامة لجميع الناس، فمن شاء الله ـ تعالى ـ هدايته اهتدى، ومن شاء الله إضلاله ضل.

وقد تقرر وجوب طاعته بالكتاب والسنة، وخص المؤمنين بذلك لأنه ﷺ مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم.

وهذه الآية دليل على شهادة أن محمداً رسول الله، وفيها بيان أن الله ـ جل وعلا ـ امتَّن على هذه الأمة ببعثة هذا الرسول الكريم ووصف هذه الرسول بأنه منهم، رحيم بهم.

عباد الله: (ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله): هي (طاعته) ﷺ (فيما أمر) من الواجبات والمستحبات، وقد قرن الله طاعته بطاعة الرسول ﷺ في مواضع عدة من كتابه الكريم، كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ومن عصاه فقد عصى الله، ومن عصى الله فله نار جهنم. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

(وتصديقه فيما أخبر) هذا **الأمر الثاني** الذي لا تتم شهادة أن محمداً رسول الله إلا بها؛ من أخبار الأمم الماضية، أو الأمور المستقبلية، فأخباره ﷺ حق وصدق لا كذب فيها ولا خلف. وهو أمين الله على وحيه، وإنما

وجب تصديقه ﷺ، لأنه لا ينطق عـن الهوى، فخبره صدق قطعا، ومن كذَّب الرسول ﷺ فهو لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

ثم ذكر **الأمر الثالث**: قوله: (واجتناب ما نهى عنه وزجر) كما أمر ـ عز وجـل ـ بذلك في قولـه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧] قـال ﷺ «**إذا نهيتكـم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**» [متفق عليه].

قال شيخ الإسلام: «وكلما كان الرجل أتبع لمحمد ﷺ كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين، وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا أكثر بعده عنه، ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول ﷺ».

(وأن لا يعبد الله إلا بما شرع) ـ سـبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم وما جاء به رسـول الله ﷺ لا بالأهواء والبدع والمحدثات. وهذا **الأمر الرابع**؛ فإن الأصل في العبادات التشريع، وكل بدعة ضلالة؛ هذا معنى شـهادة أن محمداً رسول الله. ولا عبادة لله ـ تعالى ـ إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ.

وهذه الأربـع هي معنى شـهادة أن محمداً رسـول الله: الإيمان به، وتصديقـه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، وأن يعظم أمره ونهيه، ولا يقدم عليه قول أحد.

ومقتضى هذه الشـهادة أيضـاً: أن لا يعتقد أن للرسـول ﷺ حقاً في الربوبية، وتصريف الكون، أو حقـاً في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يُعبد،

ورســـول لا يُكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شـــاء الله؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعـام: ٥٠] فهـــو ﷺ عبد مأمور يتبع ما أمر به، أكرمه الله ـ عز وجل ـ بالرســـالة، وقد أنزله الله ـ عز وجل ـ هذه المنزلة العظيمة فهو عبد الله ورسوله ﷺ.

وحب الرسول من أعظم واجبات الدين، ومن أعظم القيام بحقه؛ نشر سنته والدفاع عنها، ومتابعته واقتفاء أثره.

والناس في رسول الله ﷺ ثلاثة أقسام:

القســـم الأول: الجفاة المقصرون في محبة الرسول ﷺ، وهؤلاء على درجتين: كفار وعصاة.

فأما الكفار فهم الذين يبغضون الرسول ﷺ، أو يبغضون شيئاً مما جاء به من شريعة الإسلام.

وأمـــا العصاة فهم الذيـــن يخالفون أمر الرســـول ﷺ فيرتكبون بعض المحرمات، ويتركون بعـــض الواجبات مع طاعتهم فيما يلزم منه بقاؤهم على دين الإسلام.

القســـم الثاني: الغلاة الذين غلوا في دعـــوى محبة النبي ﷺ، وهؤلاء على درجتين: مشـــركون ومبتدعة. فأما المشـــركون فهم الذين غلوا في النبـــي ﷺ حتى صرفوا له بعض أنواع العبادة مـــن الدعاء والنذر وطلب المدد وقضاء الحوائج وغير ذلك.

وأمـــا المبتدعة: فهم الذين غلـــوا في مدحه فأطـــروه وجاوزوا الحد المأذون فيه من المدح والثناء ولم يصرفوا له شيئاً من أنواع العبادة.

القسم الثالث: المهتدون المتبعون لهدي النبي ﷺ وهدي أصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان بلا غلو ولا تفريط، وهؤلاء هم الناجون السعداء.

عباد الله: لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر أنواعاً من العبادات.

قال: (ودليل) أن (الصلاة) المفروضة (والزكاة) من أركان الإسلام الخمسة التي لا يستقيم إسلام عبد إلا بهما. ودليل (تفسير التوحيد) الذي هو الأساس الذي لا يستقيم إسلام عبد إلا به (قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا﴾) أي؛ الكفار في جميع الأزمان ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده لا شريك له ويفردوه بالعبادة ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ في هذه العبادات لفضلهما وشرفهما ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي؛ يقيموا الصلاة المكتوبة بأركانها، وواجباتها في أوقاتها وسننها، والصلاة صلة بين العبد وربه فيها انشراح الصدر، وقرة العين، والانزجار عن الفحشاء والمنكر، ولم يذكر الله ـ عز وجل ـ الصلاة في القرآن إلا بإقامتها، أو بالمداومة عليها، أو بالمحافظة عليها ﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ أي؛ يؤدوا الزكاة المفروضة إلى أهلها، وفيها تطهير نفس الغني من الشح والبخل، وتطهير نفس الفقير من الحسد والضغينة على الأغنياء، وسد حاجتهم، وتكامل وتكافل المجتمع. قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

وخص ـ عز وجل ـ على الصلاة والزكاة لما لهما من الأهمية ولفضلهما، فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة المال، وهما قرينتان في كتاب الله ـ عز وجل ـ.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي؛ التوحيد والإخلاص في الدين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، هو دين الملة القيمة المستقيمة الذي يجب أن يُتبع.

وهذه الآية عامة شاملة لجميع أنواع العبادة فلا بد أن يكون الإنسان فيها مخلصاً لله ـ عز وجل ـ حنيفاً متبعاً لشريعته.

(ودليل) أن (الصيام) في شهر رمضان المبارك أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يستقيم الإسلام إلا بها (قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ أي فرض ﴿عَلَيْكُمُ﴾ يا أمة محمد ﷺ ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ في شهر رمضان؛ لما فيه من زكاة النفوس وتطهيرها وتنقيتها من الإخلاط الرديئة والإخلاق الرذيلة. ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ وفرض ﴿عَلَى﴾ الأمم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ سلفوا ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أسوة بغيركم.

ومن حكمة فرض الصيام لتنال النفوس التقوى، وفيه تربية النفس وجهادها، وإشعار الصائم بنعم الله عليه، وفيه تنشيط لهذه الأمة وأن الصيام قد فرض على من قبلها من الأمم.

وأنه ـ تعالى ـ أكمل لهذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها. وصوم شهر رمضان فرضٌ افترض في السنة الثانية من الهجرة، فصام النبي ﷺ تسع رمضانات.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ يعني بالصوم؛ لأنه وصلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الفائدة بقوله: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري] ولأجل أن يكون هذا الصيام وقاية لكم من عذاب الله ـ تعالى ـ بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله وحده لا شريك له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله.

أما بعد:

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (ودليل) وجوب (الحج) وأنه من أركان الإسلام (قوله تعالى): ﴿وَلِلَّهِ﴾ تفيد الوجوب، فمعناها: أوجب الله على الناس حج البيت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي؛ يجب على الناس والمراد بالناس: بنو آدم، مؤمنهم وكافرهم. التعبد لله بـ ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ الحرام لأداء مناسك الحج، ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ﴾ من المكلفين ﴿سَبِيلًا﴾ والمراد بالسبيل: الطريق والاستطاعة على قدر طاقة الناس، ووجود المحرم للمرأة، وفيه دليل على أن من لم يستطع فلا حج عليه. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي أنكر وجوب الحج، ولم يعتقد وجوبه وجحد فريضته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ ـ عز وجل ـ ﴿غَنِيٌّ﴾ كثير الخير، ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ لا يحتاج إلى أحد من الخلق، فإنه إنما وضع البيت وأوجب حجه ليشهدوا منافع لهم لا لحاجة إلى الحجاج، كما يحتاج المخلوق إلى من يقصده ويعظمه؛ لأن الله غني عن العالمين. وفيه دليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً، لكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء.

أيها المسلمون:

لما ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ المرتبة الأولى من مراتب الدين، وهي الإسلام، ذكر (المرتبة الثانية) من مراتب الدين، وهي (الإيمان) وهو في اللغة التصديق؛ والإيمان الشرعي: قول وعمل، قول اللسان وهو النطق والإقرار ظاهراً بنطقه، واعتقاد القلب، وعمل الجوارح كالصلاة والجهاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. فدخل فيه جميع المأمورات، سواء كان من الواجبات، أو المستحبات، ودخل فيه ترك جميع المنهيات، فما من خصلة من خصال الطاعات إلا وهي من الإيمان، ولا ترك محرم من المحرمات إلا وهو من الإيمان.

(وهو) أي: الإيمان (بضع) البضع: بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة (وسبعون شعبة) والشعبة: الطائفة من الشيء والقطعة منه، والشعبة من شعب الإيمان يدخل تحتها أفراد من الخصال، وكل خصلة من خصال الخير فهي من شعب الإيمان، والإيمان أوسع من الإسلام، والإسلام بعض الإيمان، وأهل الإيمان، أخص مرتبة من أهل الإسلام.

(فأعلاها) وأساسها (قول) العبد (لا إله إلا الله) فهي كلمة الإخلاص وكلمة الإسلام، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وأساس الملة، ومفتاح الجنة.

(وأدناها) أي؛ أدنى شعب الإيمان (إماطة) وإزالة وتنحية (الأذى عن الطريق) من شوك وحجر ونجاسة ونحو ذلك مما يتأذى المار به. وهذا فعل وعمل تعمله؛ وإذا كان إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان؛ فعدم وضع الأذى في الطريق ـ أيضاً ـ من شعب الإيمان.

(والحياء) كذلك (شعبة من) شعب (الإيمان) أي بعض منه، وإنما جعله بعضه لأن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي، ولأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار وانتهاء، فإذا حصل الانتهاء بالحياء، كان بعض الإيمان، والحياء من أفضل الأخلاق، وأجلها، وأعظمها قدراً، وهو خلق رفيع يبعث على فعل الخيرات واجتناب القبيح. والحياء عمل القلب.

وهذا الحديث يدل على أن شعب الإيمان متفاوته؛ لأن الرسول ﷺ ذكر أعلاها، وذكر أدناها، وترك ما بين ذلك، ولم يرد في السنة نص يحدد هذه الشعب.

عباد الله: يستدل بكلمة التوحيد بقوله: لا إله إلا الله على الشعب القولية، ويستدل بإماطة الأذى عن الطريق بالشعب العملية ـ عمل الجوارح ـ ويستدل بذكر الحياء على الشعب القلبية. وهذا من أبلغ ما يكون من التشبيه والتمثيل، ويدخل في هذه الشعب ـ شعب الإسلام ـ: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، والجهاد، والغسل، والطهارة ونحو ذلك، والأعمال الاجتماعية التي أُمر بها؛ كصلة الأرحام، وبر الوالدين... إلى آخره، ويدخل في أعمال القلوب من الخشية والإنابة والحياء والمحبة، والرجاء والخوف والرهب والرغب إلى غير ذلك.

هذا وصلوا وسلموا...



١٦ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الذي خلق الجنة، وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمده ـ سبحانه ـ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فصدع بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

دعا إلى هذه الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج وعمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وحاسبوا أنفسكم قبل موقف الحساب، فإن عليكم كراماً كاتبين، والله ـ تعالى ـ أسرع الحاسبين: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «ثلاثة الأصول» أركان الإيمان وأصوله التي يبنى عليها والتي يزول بزوالها، فقال (وأركانه) أي الإيمان

(١) أركان الإيمان.

(ســتة) أركان، ويكون بزوال الواحد من تلك الستة كافراً كفراً يخرج عن الملة، وما عداها من الشــعب لا يزول بزواله، لكــن منها ما يزول بزواله كمال الإيمان الواجب، ومنها ما يزول بزواله كمال الإيمان المندوب.

والركن الأول من أركان الإيمان وأساسها (إن تؤمن بالله) والإيمان بالله أعظم أركان الإيمان وأساسه، وما بعده من الأركان مندرج في هذا الركن وهو أصل الأصول، ويتضمن الإيمــان بوحدانية الله ـ تعالى ـ، وربوبيته وتفرده بأســمائه وصفاته، لا يمكن أن يتحقق الإيمــان إلا بذلك، ليس كمثله شيء في أسمائه، وليس كمثله شيء في صفاته، والإيمان بأنه الإله الحق، وأن من عبد من دونه فعبادته أبطل الباطل وأضل الضلال، وقد دل على وجوده ـ تعالى ـ: الفطرة، والعقل والشرع، والحس.

قوله: (أن تؤمن بالله وملائكته) هــذا الركن الثاني أي؛ وأن تؤمن بجميع ملائكته، والملائكة جمع ملك، وهو المرســل؛ والملائكة عالم غيبي خلقهم الله ـ تعالى ـ من نور، عابدون لله ـ تعالى ـ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يعلم عددهم إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] ومنهم جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ورضوان، وغيرهم من الملائكة. وهم الموكلون بما وكلهم الله ـ عز وجل ـ به.

وفي الإيمان بالملائكة العلم بعظمة الله ـ تعالى ـ، وقوته، وســلطانه، فــإن عظمة المخلوق مــن عظمة الخالق، وفيه شــكر الله ـ تعالى ـ على عنايتــه ببني آدم حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وفيه: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله ـ تعالى ـ.

(أن تؤمن بالله وملائكته) (وكتبه) ذكر الكتب قبل الرسل، وهي المنزلة على الأنبياء من السماء، التي أنزلها ـ تعالى ـ على رسله هداية للبشرية ورحمة بهم، فيها الهدى والنور والبينات، وما به يصلح العباد ليصلوا إلى سعادة الدارين، ونؤمن بأن الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين كالتوارة والإنجيل وغيرها كلها منسوخة بالقرآن العظيم الذي لا يجوز التحاكم إلى غيره ولا العمل إلا به. وأنه مهيمن على جميع الكتب السابقة. وأن ما فيه من الأخبار يجب تصديقها وما فيه من الأحكام يجب امتثالها، وأن من حكم بغيره فقد حكم بهواه، ولم يحكم بما أنزل الله. وفيه العلم بعناية الله ـ تعالى ـ بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

عباد الله: ومن أركان الإيمان قوله: (ورسله) وهذا هو الركن الرابع؛ من أركان الإيمان الست. أي؛ الإيمان بالرسل، وأن رسالتهم حق من الله ـ تعالى ـ، وتصديق ما صح عنهم من أخبارهم والعمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، أرسلهم الله وبعثهم بالتوحيد يدعون قومهم إليه، وأنهم بلغوا ما أمروا به، وخاتمهم نبينا محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. وأن الله بعثهم رحمة للعالمين، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ـ عز وجل ـ. ومن الرسل أولو العزم؛ نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله بشريعة مستقلة إلى قومه ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والرسل بشر مخلوقون ليس

لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله ـ تعالى ـ عن نبينا محمد ﷺ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨] وتلحقهم خصائص البشرية من المرض والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وقد وصفهم الله ـ تعالى ـ بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، قال عن نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء: ٣] وقال عن نبينا ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان: ١].

(و) الركن الخامس من أركان الإيمان قوله: (واليوم الآخر) أي؛ والإيمان باليوم الآخر يوم القيامة، وفيه الإيمان بالبعث، وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وفيه الإيمان بالحساب والجزاء، وفيه الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية: ٢٦] ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه، والإيمان بالحوض، والميزان، والصحف والصراط. والإيمان باليوم الآخر يثمر الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم، وكذلك الرهبة والمنع عن الوقوع في المعاصي خوفاً من عقاب ذلك اليوم، وفيه تسليه المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وسمي باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. ويقوم الإيمان باليوم الآخر على أصلين؛ هما: إثبات البعث بعد الموت، وإثبات الجزاء والحساب.

أيها المسلمون: (و) الركن السادس من أركان الإيمان: أن (تؤمن بالقدر) أي بما قدره الله وكتبه من (خيره) أي؛ بما فيه من الخير والسرور (وشره) أي؛ بما فيه من الشر والأحزان. والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربع مراتب يجب اعتقادها والإيمان بها وهي: الإيمان بعلم الله بالأشياء قبل حدوثها فإن الله ـ عز وجل ـ علم بعلمه القديم ما هو كائن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]، والإيمان بالكتابة، وأن الله كتب ما علم أنه كائن إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ والإيمان بأنه لا يحصل في هذا الكون إلا ما شاء الله، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، والإيمان بالله وأنه خلق الخلق وأعمالهم وأفعالهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «الإيمان بالقدر: هو أن تؤمن بتقدير الله ـ عز وجل ـ قدرها وكتبها عنده قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ومعلوم أنه لا كتابة إلا بعد علم، فالعلم سابق على الكتابة، ثم إنه ليس كل معلوم لله ـ سبحانه وتعالى ـ مكتوباً؛ لأن الذي كُتب إلى يوم القيامة، وهناك أشياء بعد يوم القيامة كثيرة، أكثر مما في الدنيا هي معلومة عند الله ـ عز وجل ـ، ولكنه لم يرد في الكتاب والسنة أنها مكتوبة».

عباد الله: والإيمان بالقدر يبعث الطمأنينة في النفس والرضا والتسليم لما قضى ـ سبحانه ـ وقدر؛ قال ﷺ: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**» [رواه أبو داود].

(والدليل) على أن (القدر) ركن من أركان الإيمان لا يستقيم إيمان عبد إلا به؛ (قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩] أي إن الله ـ عز وجل ـ خالق كل شيء لا شريك له في ذلك ﴿بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ أي؛ إن ما خلقناه مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ، فهو يقع كما كتب بوقته وقدره، وجميع ما اشتمل عليه من الصفات، وفي الحديث: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**» [رواه مسلم].

قال السعدي: «﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها، لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها، وخلقها بقضاء وسبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير، فلهذا قال: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ فإذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون كما أراد، كلمح البصر من غير ممانعة ولا صعوبة».

وفي الحديث عنه ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**» [رواه مسلم].

والفرق بين أركان الإسلام وأركان الإيمان: أركان الإسلام: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج؛ وهي أركان ظاهرة. وأركان الإيمان أعمال باطنة، فلا يطلع عليها إلا الله، فالإيمان بالله داخلي، والإيمان

بالملائكة داخلي، والإيمان بالكتب داخلي، والإيمان بالقدر داخلي، ومن أتى بأركان الإيمان الباطنة فهو مؤمن، ومن أتى بأركان الإسلام الظاهرة ولم يأت بأركان الإيمان الباطنة فهو منافق، وفي الدرك الأسفل من النار.

(والدليل) من القرآن (على) أن (هذه الأركان الستة) التي لا يستقيم إيمان العبد إلا بها جميعها، وأنه متى انتفى واحد منها، لم يكن المرء مؤمناً. (قوله تعالى) في كتابه الكريم ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ وهو كل عمل خير من العقائد والأعمال يفضي بصاحبه إلى الجنة، والمعنى: ليس هذا هو المقصود من العباد.

﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾ أي؛ تجعلوا ﴿وُجُوهَكُمْ قِبَلَ﴾ أي؛ جهة ﴿ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ المراد أن تصلوا إلى بيت المقدس، وإن لم يكن أمر الله وشرعه، وذلك لما حولوا إلى الكعبة.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ الذي يُمدح أصحابه في امتثال أوامر الله، واتباع ما شرع، وأعظمه ما ذكر في هذه الآية ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أي؛ بتفرده ـ جل وعلا ـ، بالربوبية، والإلهية، والأسماء الحسنى والصفات العليا. وبدأ بالإيمان إذ هو أصل الأصول. ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ وهو كل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول ﷺ مما يكون بعد الموت، من بعث الخلائق وإعادة الأجساد كما كانت، ورد الأرواح إليها، وجمع الأولين والآخرين ليوفى كل عامل بما عمل. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين وصفهم الله ـ عز وجل ـ لنا في كتابه ووصفهم رسوله ﷺ. ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ يشمل جميع الكتب المنزلة، حتى ختمت بالقرآن العظيم الناسخ جميع ما سواه من الكتب قبله. ﴿وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ الكرام عموماً، وخصوصاً خاتمهم نبينا محمد ﷺ.

قال ابن كثير: «من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله».

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أيها المسلمون:

لما ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن دين الإسلام ثلاث مراتب، ولكل مرتبة أركان وذكر مرتبتي الدين؛ الإسلام والإيمان؛ ثَلَّث هنا بالمرتبة الثالثة من مراتب الدين، حيث قال: (المرتبة الثالثة) وهي (الإحسان) الذي هو مرتبة من المراتب، إحسان العابد أثناء عبادته، وهو مقام المراقبة ـ مراقبة العابد لله عز وجل ـ أثناء عبادته، بل في أحواله كلها، لأنه إذا راقب ربه بأن قد علم أن الله ـ عز وجل ـ مطلع عليه، كأنه يرى الله ـ عز وجل ـ، فإن هذا يدعوه إلى إحسان العمل؛ لأنه يعلم أن الله ـ عز وجل ـ يطلع عليه.

والإحسان فوق العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع.

والإحسـان؛ نهاية الإخلاص الناشـئ عن حقيقة الاسـتحضار ومن حيـث الظاهر كمال المتابعة. والإخلاص هـو: إيقاع العمل على أكمل وجوهـه في الظاهر والباطن، بحيث يكون قائمـاً به في الباطن والظاهر على أكمل الوجوه، واشـتقاقه من الحسن. والإحسان ضد الإساءة، وهو أن يبذل الإنسـان المعروف ويكف الأذى فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.

قال ابن دقيق العيد عن الإحسان: «حاصلة راجع إلى إتقان العبادات، ومراعاة حقوق الله ـ تعالى ـ ومراقبته، واسـتحضار عظمته وجلالته حال العبادات». وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم.

وكل محسـن مؤمن مسـلم، وليس كل مسـلم مؤمناً محسناً، فلا يلزم من دخوله في الإسـلام أن يكون داخلاً في الإحسان والإيمان.

والإحسـان (ركن واحد) أي شيء واحد، بينما الإسلام خمسة أركان، والإيمان سـتة أركان، (وهو) أي الإحسان (أن تعبد الله) أي؛ تتعبد لله بأي عبادة كانت أمر بها الشرع من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة أو غير ذلك (كأنك تراه) أي؛ كأنك ترى معبودك وتشـاهده، وفيه اسـتحضار الدرجة

الأولى وهـــي درجة المراقبة (فإن لم تكن تراه) وهـــذه هي الدرجة الثانية (فإنه) ـ سبحانه ـ (يراك) أي؛ مطلع على جميع خفاياك، فهو ـ عز وجل ـ سميع بصير بجميع ما تفعله. وهذه العبادة؛ أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشـــوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثاً عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهـــو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه ـ ســـبحانه وتعالى ـ ويبعث ذلك على الإخلاص لله ـ عز وجل ـ بعبادته، فلا يعبده رياء ولا سمعه ولا مدحاً، وهو يعتقد أن الله يراه.

والثاني: أن يتقن العبادة ويحسن أداءها على أكمل وجه.

ومرتبة الإحسان تعظم بعظم مراقبة الله ـ عز وجل ـ، وتضعف بضعف مراقبة الله ـ عز وجل ـ.

(والدليل) على مرتبة الإحســـان من كتـــاب الله (قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾) أي؛ إن الله ـ عز وجل ـ مع عباده الذين اتقوا المنهيات. ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ في عبادتهم ربهم وإحســـانهم للخلق، فالله مع عبادة المتقين، والذين هم محســـنون في العمل؛ يحفظهم ويكلؤهم ويؤيدهم، وهذه معية خاصة. وفي الآية إشارة إلى أن مقام الإحسان فوق مقام التقوى إذا فرق بينهما.

أمـــا المعية العامة: فهـــي للمؤمن والكافر؛ فالله مـــع المؤمن والكافر باطلاعه وإحاطته، ونفوذ قدرته ومشـــيئته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤].

هذا وصلوا...



١٧ الخطبة الأولى [١]

الحمد لله الواحد الأحد، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمده ـ سبحانه ـ على هدايته وتوفيقه، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، فالتقوى جِماع الخيرات وبها تحصل البركات، وترفع الدرجات، وتمحو السيئات.

عباد الله: لما ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «ثلاثة الأصول» الإحسان ومعناه وصفته، ذكر دليلاً لذلك؛ هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾.

ثم قال: (و) دليل ثان على مرتبة الإحسان وعلى الدرجة الثانية منه؛ (قوله) ـ تعالى ـ: ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ في جميع أمورك ﴿عَلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ قوي لا يغلب ﴿ٱلرَّحِيمِ ٢١٧﴾ أي بالمؤمنين من عباده؛ فإنه مؤيدك وحافظك ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في الصلاة فتصلي متهجداً من الليل وحدك و﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ أي؛ ويراك في صلاتك مع المصلين في حال ركوعك وسجودك وقعودك فيها، وخص الصلاة بالذكر لفضلها

(١) مرتبة الإحسان.

وشرفها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ يسمع ويعلم جميع حركاتك مع رؤيته لك. وهذا شيء يعلمه كل مسلم فيعلم أن الله يراه ولكنه يغفل عن استحضار العلم والشيء الذي يلزم منه أن يكون الإنسان مجتنباً للنواهي وفاعلاً للمأمورات.

(و) دليل ثالث على مرتبة الإحسان (قوله) تعالى (﴿وَمَا تَكُونُ﴾) يا محمد ﴿فِي شَأۡنٖ﴾ أي: شأن تكون فيه في أي عمل من الأعمال الدينية والدنيوية ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ﴾ أنواع تلاوتك للقرآن، وأحوال ذلك في الصلاة وخارج الصلاة، وأنت على جنبك، وأنت نائم، أنت وأمتك، صغير وكبير ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾ أي نحن مشاهدون ومطلعون على كل ذلك كله ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ وقت شروعكم فيه، واستمراركم على العمل به إلى حين انقضائكم منه، كل ذلك مطلعون عليه، فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة والاجتهاد فيها، وإياكم وما يكره الله تعالى فإنه مطلع عليكم عالم بظواهركم وبواطنكم. وفيه تقدير للأمر بالتوكل، لأن السميع لكل صوت، والعليم بكل حركة وسكون، يحق للعبد أن يتوكل عليه وأن يفوض أموره إليه.

قال السعدي: «يخبر تعالى عن عموم مشاهداته واطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم وسكناتهم، وفي ضمن هذه الدعوة لمراقبته على الدوام».

(والدليل) على مراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان (من السنة) الواردة عن النبي ﷺ (حديث جبريل المشهور) الذي رواه الإمام مسلم. قال ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ: «هذا حديث عظيم قد اشتمل

على جميع وظائف الأعمال الظاهرة والباطنة، وعلوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه، لما تضمنه من جمعه علم السنة، فهو كالأم للسنة، كما سميت الفاتحة أم القرآن لما تضمنته من جمعها معاني القرآن».

ففي الحديث بيان العقيدة، وأنها مبنية على أركان الإيمان الستة، وفيه بيان الشريعة، وذلك بذكر أركان الإسلام الخمسة، وفيه ذكر الغيبيات والأمارات، بل قبل ذلك فيه ذكر آداب السلوك والعبادة، وصلاح توجه القلب والوجه إلى الله تعالى بذكر الإحسان، وفيه ذكر الساعة وأماراتها، فهذا الحديث يعود إليه جلّ السنة، كما أن قول الله ـ عز وجل ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] قال طائفة من مفسري السلف: «دخل في هذه الآية جميع أحكام الدين، وجميع أصول الأحاديث النبوية في هذا الحديث».

عباد الله: في الحديث الذي رواه (عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ) ثاني الخلفاء الراشدين (قال) حاكياً تلك المحاورة بين خير المرسلين محمد ﷺ وسفير الملائكة جبريل ـ عليه السلام ـ عندما جاءه على صورة رجل: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ) ذكر كيف جاء وهم جلوس ولا ينتظرون أن يطلع عليهم أحد، وفي رواية في الصحيحين **«كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس»** (إذ) وقوله: «إذ» تسمى الفجائية يعني فجأنا شيء ما كنا نتوقعه ولا نترقبه ولا ننتظره (إذ طلع علينا رجل) هو ملك في صورة رجل، وفيه إشعار بعظم الرجل وهذا أحد أقسام الوحي، أن يأتي في صورة رجل معين فيخاطب الرسول ﷺ مخاطبة مثل مخاطبته

الذي يقابله (شديد بياض الثياب) لا وعثاء عليها، وفيه دليل على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك، ولأبي فروة: فإنا لجلوس عنده إذا أقبل رجل أحسن الناس وجهاً، وأطيب الناس ريحاً، كأن ثيابه لم يمسها دنس. (شديد سواد الشعر) أي أنه شاب، لا غبار على شعره، والمسافر من شأنه أن تكون عليه أمارات السفر، ومع ذلك (لا يرى عليه أثر السفر) من الإعياء والتعب، وأثر المشقة وتغير الحال من السفر، والمسافر من شأنه أن لا يكون كذلك، وهذا متضمن معنى التعجب، فهو غريب عليهم، لكن لا يرى عليه أثر السفر، وقد نفى عمر ـ رضي الله عنه ـ أن يعرفه أحد الحاضرين (ولا يعرفه منا أحد) فلا أثر للسفر عليه، وليس هو من المقيمين في المدينة ممن يعرفونه فهو غريب، وبعد أن ذكر أربعة أوصاف للرجل، وتعجب الصحابة منه؛ إذ كيف يكون كذلك، وفي هذه اللفظة إشعار بأنه مستغرب أن يكون على هذه الصفة، وفي قوله: (شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) في هذا مدح لهذه الصفة، وإحداهما مكتسبة والأخرى جبلية، فسواد الشعر جبلة، وشدة بياض الثياب صفة مكتسبة، وكان ﷺ يحب الثياب البيض وكان يلبسها، وأمر ﷺ بتكفين الموتى فيها. (حتى جلس إلى النبي ﷺ) قريباً منه، (فأسند) جبريل (ركبتيه على ركبتيه) أي: إلى ركبتي النبي ﷺ، والمعنى: أنه جلس بين يدي النبي ﷺ كما يجلس الإنسان في الصلاة في التشهد، أو في الجلوس بين السجدتين. والإسناد هو المقابلة (ووضع) جبريل (كفيه على فخذيه) أي: على فخذي النبي ﷺ وجلس على هيئة المتعلم،

وفي روايــة (ثم وضع يده على ركبتي النبــي ﷺ). وصنيعه منبه للإصغاء إليه، في حسن الجلسة، وفي حسن وضع الجوارح، وفي القرب منه، وهذا معناه أن يُعلم الصحابة الأدب مع رســول الله ﷺ وغيره. وفيه إشــارة لما ينبغي للمسئول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل، (وقال) جبريل: (يا محمد) ناداه باســمه خلاف مناداة الصحابة له بـ يا رسول الله، أو يــا نبي الله. (أخبرني) وأعلمني، وفيــه: دلالة على أن النبي ﷺ مُخبر، أي ينقل الخبر عن الإســلام عن ربه ـ عز وجــل ـ في ذلك. (عن) أركان (الإســلام)، ما هي؟ (قال) النبي ﷺ: (أن تشهد) وتقر (أن لا إله) معبود بحق (إلا الله) وحده لا شريك له (و) أن تشــهد (أن محمداً) هو (رســول الله) ﷺ، وأن (تقيــم) أي: تؤدي (الصــلاة) المفروضة بشروطها وأركانها وواجباتها، وهي آخر ما يفقد من الدين، وأول ما يحاســب عليه العبد يوم القيامة، وأن (تؤتي) وتؤدي (الزكاة) المفروضة لمســتحقيها، وهي قرينة الصلاة، وهي عبادة مالية نفعها متعدَّ، وأن (تصوم) شهر (رمضان) المبارك وهــو عبادة بدنية، وأن (تحج) أي: تقصد (البيت) الحرام وهو عبادة مالية بدنية (إن استطعت) السير (إليه) أي الوصول إلى البيت (سبيلاً) أي؛ طريقاً متيسراً من زاد وراحلة، ووجود المحرم للمرأة لقول النبي ﷺ: «**لا تســافر المرأة إلا مع ذي محرم**»، [متفق عليه]. وهذه الأركان الخمسة هي الإسلام.

هذا هو دليل المرتبة الأولى، وفسره بأعمال الجوارح الظاهرة، والإسلام هو الدين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وهو الصراط المستقيم الذي أمر الله بالاستقامة عليه.

(فقال) جبريل ـ عليه السلام ـ: بعد هذا الحوار (صدقت) يا محمد، (فعجبنا له) ولصنيعه هذا (يسأله ويصدقه) وسبب عجب الصحابة من هذا السائل؛ لأن من شأن السائل أن يجهل ما يسأل عنه ولا يعرفه، لأن الذي يعلم الشيء لا يسأل عنه، ولكن السائل هنا يسأل النبي ﷺ ويصدقه؛ فكأنه خبير بالجواب ولهذا يصدقه، ولأن ما جاء به النبي ﷺ لا يعرف إلا من جهته، وليس هذا السائل ممن عرف بلقائه بالنبي ﷺ واجتماعه به ولا بالسماع منه، بل هو غريب عنهم، ثم هو قد سأل سؤال عارف محقق مصدق فتعجبوا من ذلك.

ثم (قال) جبريل ـ عليه السلام ـ: (فأخبرني) يا محمد (عن الإيمان ما هو؟ (قال) محمد ﷺ: الإيمان هو (أن تؤمن بالله) بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بالله هو أصل للإيمان ببقية أركان الإيمان، وكل ما عداه من الأركان داخلة فيه، (و) أن تؤمن بـ (ملائكته) إجمالاً في الإجمال، وتفصيلاً على التفصيل، بأسمائهم وأعمالهم، وما أوكل إليهم، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، (و) أن تؤمن بـ (كتبه) بأن تؤمن بكل كتاب أنزله الله على رسله، كالتوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وأن جميعها منسوخ بالقرآن العظيم، وأنه قد دخل في الكتب السابقة التصحيف والتحريف، (و) أن تؤمن بـ (رسله) بأن الله اصطفى من البشر رسلاً يهدون الناس إلى الحق، نؤمن بهم إجمالاً في الإجمال وتفصيلاً على التفصيل، فنؤمن بمن عرفنا أسمائهم ومن لم نعرف أسمائهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ

مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، (و) أن تؤمن بـ (اليوم الآخر) وتصدق بكل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت، من الحشر والنشر، والحساب والميزان، والصراط والجنة والنار. (و) أن (تؤمن بالقدر) وما كتبه الله فيه، من (خيره) مما فيه من فرح وسرور، (و) من (شره) مما فيه من مرارة وأحزان من غير تجزع عليه ولا تسخط، فكل ما هو كائن من خير أو شر، فهو بقضاء الله وقدره ومشيئته وإرادته، والشر هنا من إضافة القدر إلى العامل، أما فعل الله تعالى فليس فيه شر كما جاء في الحديث: «**والشر ليس إليك**» [رواه مسلم]. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وإعادة كلمة (وتؤمن) عند القدر للاهتمام بشأنه، وفي رواية لأحمد (**وتؤمن بالجنة والنار، والحساب والميزان، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره**»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: «**إذا فعلت ذلك فقد آمنت**»، (قال) جبريل: (صدقت).

وهذا دليل المرتبة الثانية، وهي الإيمان وفسره بالأعمال الباطنة، ودل الحديث على أن الإسلام والإيمان إذا اقترنا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة.

ومن ثمرات الإيمان بالقدر:

أولاً: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

ثانياً: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى وأن المكروه كائن لا محالة؛ ارتاحت النفس، واطمأن القلب،

ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشاً وأريح نفساً وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

ثالثاً: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب.

رابعاً: طرد القلق والضجر عن فوات المراد أو حصول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السموات والأرض، ويحتسب الأجر، وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

(قال) جبريل: (فأخبرني) يا محمد (عن الإحسان) ما هو؟ (قال) النبي ﷺ: (أن تعبد الله كأنك تراه) أي يغلب عليك مشاهدة الحق بقلبك، حتى كأنك تراه بعينك، ومن كان كذلك فإنه يأتي بالعبادة على التمام والكمال (فإن لم تكن تراه) أي إن لم تستحضر أنك ترى الله، فانتقل إلى المرتبة الثانية من مراتب الإحسان وهي أن تستشعر (أنه) ـ تعالى ـ (يراك) ومطلع عليك في كل ما تعمل، لا يخفى عليه منك خافية.

وهذا القدر من الحديث أصل من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد العلم، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ، فإن إحسان العبادة، هو الإخلاص فيها والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود.

وأشار في الجواب إلى حالتين: أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه. والثانية: أن يستحضر أن الحق ـ تعالى ـ مطلع عليه ويرى كل ما يعمل.

وهاتان الحالتان تثمرهما معرفة الله وخشيته، وفي رواية «**أن تخشى الله كأنك تراه**» [رواه مسلم] فجعل النبي ﷺ هذا هو الإحسان، وهو دليل المرتبة الثالثة.

ففي هذا الحديث دليل على هذه المراتب الثلاث، وأن أركانها هي ما عدها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ.

بارك الله لي ولكم....



الخطبة الثانية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسلمون:

وفي تتمة الحديث (قال) جبريل: (فأخبرني) يا محمد (عن الساعة) عن زمن قيام القيامة ووقت مجيئها؟ وهذا يدل على أن السائل عنده علم، (قال) النبي ﷺ: (ما المسئول عنها) يقصد النبي ﷺ نفسه (بأعلم من السائل) وهو جبريل؛ أي: أنا وأنت سواء في العلم بها، كلانا لا يعرف متى تقوم؟ فعلمها عند الله وحده، وقد أخفى الله تعالى مجيء الساعة عن كل خلقه حتى الملائكة والرسل. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] فالخلق كلهم حتى الملائكة والرسل لا يعلمون متى تقوم، فوقتها مما استأثره الله ـ تعالى ـ بعلمه قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقد ورد عن النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح أنه قال: «**خمس لا يعلمهن إلا الله**»، فذكر منها «**قيام الساعة**».

(قال) جبريل ـ عليه السلام ـ: فإن لم تعلم متى تقوم الساعة؟ والمراد بها النفخ في الصور النفخة الأولى (فأخبرني) يا محمد (عن أماراتها) وعلاماتها التي تسبق قيامها والقريبة من وقوعها؟ هذا تدرج في السؤال

وعدل عن موعدها إلى السؤال عن أماراتها وعلاماتها (قال) محمد ﷺ: من علامات الساعة: (أن تلد الأمة) الرقيقة من الجواري (ربتها) أي: مالكتها وسيدتها، والمعنى: أن السراري تكثر في العرب حتى يوجد أن الأمة تلد سيدتها، وفسر بغير ذلك، وحاصلة الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربَّى مربِّياً والسافل عالياً.

ومن أماراتها وعلاماتها الأخرى (أن ترى) وتشاهد (الحفاة) الذين لا نعال عليهم والمراد أهل البوادي، فهم لا يلبسون النعال في الغالب. (العراة) الذين لا ثياب عليهم، أو ثيابهم مشققة ليسوا من أهل المدن (العالة) الفقراء (رعاء الشاء) أي: رعاة الغنم (يتطاولون) أي؛ يتنافسون (في البنيان) ويتفاخرون به بعد أن كانوا فقراء رعاة أغنام، لا نعال عليهم ولا ثياب ويرعون الشاة، ومعناه: أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهوا ويتفاخروا في البنيان، أي؛ سيسكن هؤلاء الحفاة العراة الرعاة المذكورون فيما سبق المدن، ويبنون العمارات والبنايات ويتطاولون في البنيان وهذا من علامات الساعة. وإنما خص رعاء الشاة بالذكر، لأنهم أضعف الرعاة. والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساء، وتكثر أموالهم حتى يتباهوا بطول البنيان وزخرفته، وفي الحديث: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**» [رواه البخاري]؛ لأنه يفسد نظام الدين والدنيا، وهذا كله من انقلاب الحقائق في آخر الزمان وانعكاس الأمور.

قال القرطبي: «المقصود الإخبار عن تبدل الحال..».

وأشراط الساعة كثيرة منها: تضييع الصلاة، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وظهور المعازف والملهيات وغيرها؛ وهذه أشراط الساعة الصغرى، تعقبها أشراط الساعة الكبرى.

(قال) عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: (فمضى) جبريل أي: خرج (فلبثنا) نحن الصحابة ومعنا النبي ﷺ (ملياً) أي: وقتاً طويلاً إما يوم أو يومين أو ثلاثة، وظاهره أن الرسول ﷺ لم يخبر عمر ـ رضي الله عنه ـ إلا بعد مدة: (فقال) النبي ﷺ بعد انصراف جبريل، (يا عمر) بن الخطاب (أتدري من) هو (السائل) الذي كان يسأل وأنتم حاضرون؟ (قلت: الله ورسوله أعلم)، لأن الرجل غريب لا نعرفه ولم نره من قبل، وهذا فيه أدب أن من سُئل عما لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه، ولا يتكلف في الجواب ما ليس له به علم، فما علمه يجيب عنه، وما لا يعلمه يقول فيه: الله أعلم، وفي حياة النبي ﷺ يجوز أن يقول: الله ورسوله أعلم، لنزول الوحي على النبي ﷺ، أما بعد وفاته فمن سُئل عن شيء من أمر الدين وهو لا يعلمه فإنه يقتصر على قوله الله أعلم، (قال) النبي ﷺ: (هذا) السائل الذي أتاكم هو (جبريل) أفضل الملائكة والسفير بين الله وبين رسله (أتاكم) متمثلاً في صورة رجل لـ (يعلمكم) أي: لتتعلموا (أمر) وأسس (دينكم) بتلك الأسئلة العظيمة التي كان يسألها، فأخبر أن ما ذكر في هذا الحديث هو أمر الدين وأساسه، فإنه قد اشتمل على أصول الدين والعقائد، بل انحصرت العلوم الشرعية التي يتكلم عليها فرق المسلمين

في هذا الحديث، ورجعت كلها إليه، وعقيدة أهل السنة والجماعة عليه، وشرف هذا الحديث وجلالته أمر مجمع عليه، قال ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ: «مذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور ـ يعني المذكورة في الحديث ـ تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد، كان مؤمناً حقاً سواء كان ذلك عن براهين قاطعة، أو عن اعتقادات جازمة»، وقال عنه القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان ابتداءً وحالاً ومآلاً، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه».

قال النووي: «فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها ديناً، واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواع العلوم والمعارف والآداب واللطائف، بل هو أصل الإسلام كما حكيناه عن القاضي عياض».

هذا وصلوا...



١٨ الخطبة الأولى(١)

الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله؛ فإن من اتقاه كفاه ووقاه، وقربه وأدناه.

أيها المسلمون: لما ذكر المؤلف الأصل الأول والثاني من أصول الدين وهما: معرفة العبد ربه ودينه، ذكر هنا الأصل الثالث.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (الأصل الثالث) من أصول الدين التي يُسأل عنها الإنسان في قبره، والتي يجب على الإنسان معرفتها والعمل بها، والدعوة إليها، والصبر على الأذى فيها، (معرفة نبيكم محمد ﷺ) نص على اسمه محمد، وهو اسمه العلم الذي عرف به وله أسماء عدة، واسمه العلم لابد منه في التشهد وفي الأذان وفي تعيينه وتمييزه عن الرسل. فمعرفة نبينا محمد ﷺ هي: أحد الأصول الثلاثة، فكما أن الأصل الأول، وهو معرفة الله العظيم، وواجب معرفته، وكذلك الأصل الثاني، وهو معرفة دين الإسلام، الذي خلقنا الله له، وتعبدنا بالقيام به، أصل عظيم وواجب

---

(١) معرفة النبي محمد ﷺ.

معرفتــه، فكذلك هذا الأصل الثالث، وهــو معرفة نبينا محمد ﷺ، أصل عظيم يجب معرفته، فإنه ﷺ هو الواســطة بيننــا وبين الله ـ تعالى ـ، ولا وصول لنا، ولا اطــلاع لنا، ولا طريق لنا، ولا نعرف ما ينجينا من غضب الله وعقابــه، ويقربنا من رضى الله وثوابــه إلا بما جاء به نبينا محمد ﷺ، ومعرفته تنتظم أشــياء عديدة: منها معرفة اســمه، ونسبه، وعمره، وبقائه في الدنيــا، ووفاته، ومعرفة ما نبئ به، وما أرســل به، وبلده، ومنها ـ وهو أعظمها ـ معرفة ما بعث به، وغير ذلك مما ذكره المؤلف.

وإرســال الرســل من النعم العظيمة التي يمن الله بها على عباده، قال تعــالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(وهو) أي: اسم النبي ﷺ (محمد) ومعناه الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره، وهو علم مشتق من التحميد، ولما فيه من الخصال الحميدة. فذوا العــرش محمودٌ، وهــذا محمد؛ ذو العرش هو الله ـ عــز وجل ـ صفاته وأفعاله وأسماؤه كلها يُحمد عليها، يثنى عليه بها، وتسمية جد النبي ﷺ له بمحمد، عــلى رجاء أن يكون من أهل خصــال الخير، التي يكثر من أجلها حمــد الناس له عليها، وهذا كان وصار ظاهــراً، فإنه ﷺ خصاله كلهــا أو صفاته كلها يُحمد عليها؛ لأن خصاله ﷺ خير، حتى ما كان منه قبل البعثة وقبل النبوة وقبل الرســالة، وقــد كان كثير صفات الخير. قال طائفة من أهل العلم: لم يُسم قبله ﷺ في العرب أحد بهذا الاسم، وإنما

كانت العرب تسمي: أحمد، وتسمي حمد، وكل ذلك مشتق من الحمد رغبة في أن يكون هذا الولد من ذوي الحمد، وممن يحمده الناس على خصاله. وقال آخرون: بل العرب تسمت بمحمد، لكن قليل، إما اثنان أو ثلاثة. وله ﷺ عدة أسماء في الحديث أنه قال: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب: الذي ليس بعده نبي**» [رواه البخاري] ولقبه: أبو القاسم، وهو محمد (بن عبدالله) أبوه عبد الله، وهو الذبيح الثاني المفدى بمائة من الإبل.

(بن عبد المطلب) اسمه شيبة، ويقال له شيبة الحمد، لجوده، وجماع أمر قريش إليه، وإنما سمي عبد المطلب لأن عمه المطلب قدم به مكة، وهو رديفه، وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبداً له، فقالوا هذا عبد المطلب، فعلق به هذا الاسم.

(ابن هاشم) وهاشم اسمه: عمرو، وإنما سمي هاشماً: لهشمه الثريد مع اللحم لقومه، في سني الجوع، وهو أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم، وأحد من انتهت إليه السيادة في الجاهلية وهو ابن لعبد مناف واسمه المغيرة بن قصي، بن كلاب، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، ابن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، ابن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

(وهاشم من قريش) هو النضر، فإن إليه جماع قريش. (وقريش) أصلها (من العرب) فهي قبيلة عربية، وسمي العرب عرباً لإعرابهم الكلام

ولفصاحتهم وبلاغتهم (والعرب من ذرية) أي؛ من سلالة (إسماعيل بن إبراهيم الخليل) أبو الأنبياء، ولم يرسل بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ نبي إلا من ذريته، (عليه وعلى نبينا) محمد (أفضل الصلاة والسلام) فإبراهيم ـ عليه السلام ـ بعد كبر سنه وهبه الله بولد سماه إسماعيل، من أمته هاجر، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩] وإسماعيل هو الملقب بالذبيح، وعاش مع العرب، ثم من بعده وهُبِّ إسحاق، وإسماعيل خرج من نسله نبينا محمد ﷺ، وإسحاق خرج بقية الأنبياء من نسله، فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا من ذريته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] وفي الحديث أنه ﷺ قال: «**إن الله اصطفى بني إسماعيل من العرب، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار**» وقال أبو سفيان لهرقل لما سأله: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب، قال هرقل: فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها» أي في أكرمها نسباً وأشرفها قبيلة. قال ابن القيم: «وهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه».

عباد الله: الأمر الثاني في معرفة نبينا محمداً ﷺ قول المصنف: (وله) ﷺ (من العمر) الذي عاشه في هذه الدنيا منذ ولادته إلى وفاته. (ثلاث

وستون سنة) كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين**» [رواه البخاري] فقد ولد ﷺ يوم الاثنين، ثاني عشر ربيع الأول، عام الفيل، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر إلى المدينة، وفيه توفي ﷺ، وتوفي أبوه وهو حمل في بطن أمه، وكان عند جده، ثم عمه أبي طالب، وتزوج خديجة ـ رضي الله عنها ـ وله خمس وعشرون، ومنها أولاده. إلا إبراهيم فمن مارية، وشهد حلف المطيبين، وبناء الكعبة وكان يسمى الأمين قبل مبعثه. ـ صلاة الله وسلامه عليه ـ.

(منها) أي من هذا العمر المبارك الذي عاشه في هذه الدنيا (أربعون) سنة (قبل النبوة) فلم يوح إليه إلا وعمره أربعون عاماً، وهذا سن اكتمال الأشد والقوة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]. ومن حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ، وفيه: «**أنزل عليه وهو ابن أربعين**» [رواه البخاري].

ومن عمره المبارك (ثلاث وعشرون) سنة (نبياً) يوحى إليه و(رسولاً) مأموراً بالرسالة والتبليغ وقد جمع الله له بين النبوة والرسالة. وكل رسول نبي، وليس كل نبي يكون رسولاً. وزمن نبوته ﷺ ورسالته ثلاث وعشرون سنة، مكث منها في مكة ثلاثة عشر عاماً، وفي المدينة عشرة أعوام، وفي هذا العمر المبارك بلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتى أظهر الله به الدين، وأقام شعائره وحدوده.

الأمر الثالث: وقد (نبيء) أي: أنزل عليه الوحي، مأموراً بالنبوة يوم الاثنين في رمضان بغار حراء بأعالي مكة، حيث اعتزل قومه لما رأى

ما هم عليه من الشرك وسيء الأمور. (نبئ باقرأ) أمره الله بالنبوة في صدر سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ فقال: «**ما أنا بقارئ**» أي: لستُ من أهل القراءة؛ لأنه ﷺ لا يقرأ ولا يكتب، فضمه ضمة أولى وثانية وقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ في غار حراء وهو يتعبد ما توارث على دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ وجاءه جبريل ـ عليه السلام ـ على صورته وله ستمائة جناح، تملأ ما بين السماء والأرض جناحيه، فرعب منه رعباً شديداً ورجع بها يرجف فؤاده، من رؤية الملك، مذعوراً خائفاً، فقالت له خديجة: «**والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتكرم الضيف، وتكسب المعدوم، وتحمل الكلّ، وتعين على نوائب الحق**» [متفق عليه].

وهذه خصال حميدة من اتصف بها لا يخزيه الله أبداً، وبشّرته وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان رجلاً تنصّر، فذكر له ﷺ ما جرى له. فقال له: هذا الناموس الذي يأتي موسى، وإنك نبي هذه الأمة، يا ليتني أكون جذعاً ـ أي شاباً ـ حين يخرجك قومك، فقال ﷺ: «**أو مخرجي هم؟**» قال: نعم؛ لم يأت أحد مثل ما أوتيت به إلا أوذى.

(وأرسل) أي؛ بعد النبوة أرسله وبعثه الله ـ عز وجل ـ (بالمدثر) بصدر سورة المدثر، ولما جاء الملك فرق منه، فقال ﷺ «**دثروني**» فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ فصار رسولاً؛ فأنذر الناس ثم

حمى الوحي وتتابع. وكان أول ما أنزل عليه بعد فترة الوحي، فشمر رسول الله ﷺ عن ساق العزم ودعا إلى الله.

(وبلده مكة) أي؛ ولد فيها، في شـــعب عامر، ونشأ بها إلا المدة التي أقامها عند مرضعته حليمة الســـعدية في بادية بني سعد، ثم رجع إليها في حضانة جده عبد المطلب، ثم عمه أبي طالب، لأن أمه آمنة ماتت وعمره ﷺ ست سنين، وبقي في مكة ثلاث عشرة سنة بعد أن أوحي إليه. ومكة أحب البلاد إليه، في الحديث أنه ﷺ كان يقول في مكة: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، والله لولا أني أُخرجت منك ما خرجت**» [رواه الترمذي].

(و) بعد ذلك (هاجر إلى المدينة) بعد أن هموا بقتله فتغيب في الغار، ثم ســـار هو وأبو بكر مهاجراً إلى المدينة، وذلك بعد أن بايعوه ﷺ على النصرة والمؤازرة، وأرخت الأمة من مهاجره ﷺ.

أعوذ بالله من الشـــيطان الرجيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم في شأنه، والدائم في سلطانه، أحمده ـ سبحانه ـ على جزيل برِّه وإحسانه، وأشكره على سوابغ كرمه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغ إلى رضوانه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أشاد منار الإسلام وأحكمه في بنيانه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعوانه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة مما يعرف به النبي ﷺ، وأعظمها وأعلاها معرفة ما بُعث به النبي ﷺ وهو الأمر الرابع مما يتعلق بمعرفة النبي ﷺ، فإنه (بعثه الله بالنذارة عن الشرك) يحذر منه وينذر من وباله في الدنيا والآخرة، لأنه يحبط العمل، وصاحبه مخلد في النار، وبعثه الله (بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) أي؛ إلى توحيد الله ـ عز وجل ـ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته الذي أرسله الله به وإلى الخصال الحميدة.

(والدليل) على أنه ﷺ بُعث بالإنذار عن الشرك والدعوة إلى توحيد الله ـ عز وجل ـ من الكتاب العزيز (قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾)

النداء للرسول ﷺ أي؛ المتدثر بثيابه المتغشي بها من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك عند نزول الوحي ﴿قُمْ﴾ أي، انهض من دثارك، يأمر الله ـ عز وجل ـ نبيه ﷺ أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه. ﴿قُمْ﴾ أي: تقبل الأمر بجد وقوة ولا تتوانى في ذلك فإنه أمر الله ـ جل وعلا ـ ﴿فَأَنذِرْ ۝٢﴾ الناس عن الشرك وادعهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه أول آية أرسل بها ﷺ، وأول أمر طرق سمعه في حالة إرساله، وذلك أنه لما رأى الملك الذي جاءه بغار حراء حين أنزل عليه ﴿ٱقْرَأْ﴾ رعب منه فنزل إلى أهله فقال: «**دثروني**» فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وبهذا حصل الإرسال، كما حصل بـ ﴿ٱقْرَأْ﴾ النبوة. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أي عظم ربك بالتوحيد، عما يقوله عبدة الأوثان، وخص ربك بالتكبير فهو ـ سبحانه ـ الإله الحق، لا ند له ولا مثيل له، فلا شريك له في إلهيته، ولا في ربوبيته، بل هو المستحق أن يعبد وحده، لا يشرك معه أحد في عبادته، فإن الشرك مع كونه أظلم الظلم، فهو هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أي؛ طهر أعمالك عن الشرك، ونفسك طهرها عن الذنوب، وكنى عن النفس بالثوب لأنها تشمل عليه. ويدخل نية تطهير الثياب أيضاً لأن المسلم يؤمر بالطهارة ظاهراً وباطناً.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ أي؛ الأوثان اتركها ودعها ولا تقربها، واترك أهلها وتبرأ منها وأهلها. مع بغضها وعداوتها ولابد من ذلك، وهجرها يقتضي أن لا يكون مع أهلها، ولا يكون حولها إلا إذا جاء لتكسيرها وقتال أهلها.

والرجز: القذر؛ مثل الرجس، قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ أي؛ لا تعط مالك مصانعة لتعط أكثر منه، أو لا تمنن على الله بعملك فتستكثر، أو لا يكثر عملك في عينك. أو لا تضعف أن تستكثر من الخير ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ أي على طاعته وأوامره أو على ما أوذيت فيه.

(والبراءة منها) أي من الأوثان والأصنام (و) من (أهلها)، الذين يعبدونها. قال ـ تعالى ـ عن الخليل ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨] وقال ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]. فلا يتم توحيد العبد حتى يتبرأ من الكفر وأهل الكفر، ويباعدهم وينابذهم.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ: «فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه وبادر فيه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعظم الله ـ تعالى ـ، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر كل ما يعبد من دون الله، وما يعبد معه من الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وصبر لربه أكمل صبر، فصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وصبر على أقدار الله المؤلمة، حتى فاق أولى العزم من المرسلين ـ صلوات ربي وسلامه عليه، وعليهم أجمعين ـ».

هذا وصلوا...



١٩ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله، شرح بفضله صدور أهل الإيمان بالهدى، وأضل من شاء بحكمته وعدله، فلن تجد له ولياً مرشداً، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، كرم أصلاً، وطاب محتداً، خصه ربه بالمقام المحمود وسماه محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، هم النجوم بهم يهتدى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدى، **أما بعد:**

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوا الله، وأصلحوا قلوبكم وسرائركم تسعدوا.

عباد الله:

لا زال الحديث موصولاً عن سيرة نبينا محمد ﷺ، وبماذا أرسله الله ـ عز وجل ـ.

قال مؤلف «ثلاثة الأصول» ـ رحمه الله تعالى ـ عن سيرة النبي ﷺ ودعوته: أنه ﷺ (أخذ) (على هذا) أي؛ على الدعوة إلى التوحيد، وتبيين الشرك، والتحذير منه (عشر سنين) من عمره ﷺ، وهو (يدعو إلى

(١) دعوة النبي ﷺ إلى التوحيد.

التوحيد) وإفـراد الله ـ عز وجل ـ بالعبـادة، وينذر عن الشرك ويحذر منـه، جعله جلّ اهتمامه، وأول عمله، ورأس دعوته، يدعو قومه، ويدعو عشـيرته الأقربين وجوباً لقوله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ كل ذلك قبل فرض الصلاة التي هي عـماد الدين، وقبل بقية الشرائع، وقبل تحريم الخمر والربا وذلك أن المقصود الأعظم من بعثة النبيين وإرسـال المرسلين، وإنزال الكتب هو الإنذار من الشرك والنهي عنه، والدعوة إلى توحيد الله ـ تعالى ـ وإفراده بالعبادة، فالتوحيد هو أساس الملة الذي تبنى عليه، وبدونه لا يقوم عمل من الأعمال وهو الذي دعا إليه الرسل كلهم، كما قال تعـالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال عن نوح، وهود، وصالح، وشـعيب، أول شيء بدؤوا به قومهم أن قالوا: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] وخاتمهم محمد ﷺ أول شيء دعاهم إليه أن قال: «**قولوا لا إلـه إلا الله تفلحوا**» فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥] وقال ﷺ لمعاذ بن جبل، لما بعثه إلي اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**».

فالنبي ﷺ إنما بعث بالدعوة إلى التوحيد، وذلك لأنه أساس الملة الـذي تبني عليه، وبدونـه لا ينبني شيء من الأعـمال، فالتوحيد هو الأصل وبقية شرائع الدين فرع عنه، فإذا زال الأصل زال الفرع، فكونه

أخذ عشر سنين يدعو إلى التوحيد وينذر عن الشرك قبل أن تفرض عليه الفرائض، يدل على أن التوحيد أوجب الواجبات ومعرفته أفرض الفرائض. وليس معنى أنه أخذ على الدعوة إلى التوحيد أنه توقف عنها بعد ذلك، أو لم يبذل فيه قصاراه، بل كان يلهج بالتوحيد ويحذر من الشرك في كل سنوات عمره إلى آخر لحظة من حياته الشريفة، في الحديث أنه ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» [رواه البخاري].

عباد الله: (وبعد العشر) السنوات من بدء النبوة والرسالة والدعوة إلى التوحيد وهو في مكة (عرج به) أي؛ صعد به، والمعراج معناه: الصعود، وفي الليلة التي صعد بالنبي ﷺ فيها على المعراج سميت بوسيلة الصعود وهو المعراج.

(إلى السماء) السابعة، بعدما أسرى به من مكة إلى بيت المقدس. فأسري بجسده وروحه جميعاً، من المسجد الحرام على البراق ـ وهو دابة دون البغل وفوق الحمار ـ مشتق من البرق سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه ـ عرج به إلى بيت المقدس يقظة لا مناماً، وهو من خصائص النبي ﷺ العظيمة التي فضله الله به قبل أن يهاجر من مكة. قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ والإسراء: السير بالشخص ليلاً، وهو هنا سير جبريل ـ عليه السلام ـ بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ثم صعد به جبريل ـ عليه السلام ـ إلى السماء على المعراج، وهو المصعد الذي تصعد

فيه الملائكة؛ كلما مر بسماء تلقاه مقربوها، حتى جاوزهم إلى سدرة المنتهى، حتى سمع صريف الأقلام، واطلع على الجنة والنار، واتصل بالأنبياء الكرام، وصلى بهم إماماً، ليتبين بذلك فضل رسول الله ﷺ وشرفه، وأنه الإمام المتبوع، فبلغ من الارتفاع والعلو إلى ما الله به عليم، ودنا من الجبار وكلمه بلا واسطة فأوحى إليه ما أوحى، ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط الأنبياء معه، وأمَّهم في بيت المقدس، ثم ركب البراق ورجع إلى مكة، بغلس وحدثهم عما رآه في مسيره ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فكذبه الكافرون، وصدق به المؤمنون، وتردد فيه آخرون.

(وفرضت) أي؛ فرض الله ـ عز وجل ـ (عليه) ﷺ وعلى أمته وهو في السماء (الصلوات الخمس) وقد فرضت خمسين صلاة في كل يوم وليلة، ثم لم يزل يختلف بين موسى ـ عليه السلام ـ وربه ـ عز وجل ـ حتى وضعها الرب ـ جل وعلا ـ وله الحمد والمنة ـ إلى خمس صلوات في اليوم والليلة؛ تخفيفاً على أمة محمد وقال «**هي خمس وهن خمسون، الحسنة بعشر أمثالها**» [رواه البخاري]. وفي هذه الليلة أدخل النبي ﷺ الجنة فإذا فيها قباب اللؤلؤ وإذا ترابها المسك. وفي مكة نزل عليه جبريل يعلمه أوقات الصلوات وأنواعها.

(وصلى في مكة ثلاث سنين) بعد أن عرج به وقبل الهجرة إلى المدينة، بثلاث سنين السنة العاشرة والحادية عشرة، والثانية عشرة من البعثة وكان يصلي الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. ولكن الأذان والجماعة فُرضا في المدينة، فكان في مكة

صلاة وليس هناك جماعة. (وبعدها) أي؛ وبعد الثلاث عشرة سنة من بعثته ﷺ (أمره) الله ـ عز وجل ـ (بالهجرة) ومفارقة المشركين وأوطانهم، ليتمكن من إظهار دينه والدعوة إليه. لأن أهل مكة لم يستجيبوا له، بل ومنعوه أن يقيم دعوته. وقد توفي عمه الذي كان يحوطه ويحميه ليس لكونه رسول، وإنما هو أمر طبيعي من باب العصبية، وتوفيت كذلك زوجته خديجة، واشتد أذى المشركين عليه حتى هموا بقتله وتواعدوا على ذلك.

فهاجر (إلى المدينة) النبوية، وفي شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة ووصل النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً من مكة البلد الأول للوحي وأحب البلاد إلى الله ورسوله، خرج من مكة مهاجراً بإذن ربه؛ فاستقبله الأنصار، وآووه ونصروه وآزروه، وفي الحديث «**لولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**» أي: تسببوا في إخراجي من مكة. وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة ابتدأ التاريخ الهجري كما هو معروف.

أيها المسلمون: (و) تعريف (الهجرة) مأخوذة من الهجر وهو الترك؛ وفي الشرع: ترك ما لا يحبه الله ويرضاه إلى ما يحبه ويرضاه، ويدخل في هذا المعنى الشرعي: (الانتقال) والتحول (من بلد الشرك إلى بلد الإسلام) احرازاً للدين؛ لأن المُقام فيها لا يرضاه الله ـ عز وجل ـ ولا يحبه، وسمى المهاجرون مهاجرون لأنهم هجروا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم فيها أهل ولا مال، حين هاجروا إلى المدينة، فكل من فارق بلده فهو مهاجر، والمهاجرة في الأصل: مصارمة الغير، ومقاطعته ومباعدته.

وقد وقعت الهجرة في الإسلام على وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، كما في هجرتي الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثـاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان، وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسـلمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

بارك الله لي ولكم..



الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، خلق خلقه واصطفى منهم ما اصطفى، وجعل خيرتهم نبيه محمداً ومن ترسم سبيله واقتفى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: ومناسبة ذكر الهجرة مع (الأصول الثلاثة) لبيان أن الهجرة من أبرز تكاليف الولاء والبراء على أن هذا ليس على إطلاقه.

(والهجرة) حكمها وشأنها في الإسلام أنها (فريضة على هذه الأمة) من فرائض الدين، وواجبه على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر، ولأن المؤمن يجب عليه أن يُظهر دينه، معتزًّا بذلك مبيناً للناس، وهذا يكون بالقول والعمل، فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، ووجب عليه أن يتركها ويهاجر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، أما إذا كان يستطيع إظهار عباداته فإن الهجرة في حقه مستحبة.

و(الهجرة من بلد الشرك) والكفر وهو كل بلد يظهر فيها الشرك ويكون غالباً سواء كان هذا الشرك في الربوبية، أو كان في الإلهية، أو كان في مقتضيات الإلهية من الطاعة والتحكيم ونحوها (إلى بلد الإسلام) معلوم ثبوتها بالكتاب، والسنة والإجماع، متوعد من تركها، وقد حكي الإجماع

على وجوبها من بلد الشرك إلى بلد الإســلام؛ بل فرضها الله على رسوله ﷺ والصحابة قبل فرض الصوم والحج.

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عن بلد تظهر فيها أحــكام الكفر، وتظهر فيها أحكام الإســلام؟ فقال: «هذه الدار لا يحكم عليها بأنها دار كفر ولا دار إسلام، بل يعامل المسلم فيها بحسبه، ويعامل فيها الكافر بحسبه».

(وهــي) أي الهجرة (باقيــة إلى أن تقوم الســاعة) أي، إلى قرب قيام الساعة، وهو طلوع الشمس من مغربها كما جاء في الحديث: «**لا تنقطع الهجــرة حتى تنقطــع التوبة، ولا تنقطــع التوبة حتى تطلع الشــمس من مغربهــا**» [رواه أبو داود] وذلك باتفاق من يعتد به من أهل العلم، لما فيها من حفظ الدين ومفارقة المشركين، فإن المؤمن الذي يعبد ربه، ويخلص في عبادتــه، ويبغض الشرك وأهله، ويعاديهم ويقاطعهم لن يتركه أهل الكفر على دينه مع القدرة عليه، قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ۚ﴾ [البقـرة: ٢١٧] قال شــيخ الإسلام: «لا يسلم أحد من الشرك، إلا بالمباينة لأهله».

هذا وصلوا وسلموا...

٢٠



الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، حَمَى حِمَى التوحيد، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فأظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون: لما ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وجوب الهجرة من بلد الشرك، ذكر حال المهاجرين ـ رضي الله عنهم ـ، وسمي المهاجرون مهاجرين، لأنهم هجروا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم فيها أهل ولا مال، حين هاجروا إلى المدينة. (والدليل على وجوب الهجرة (قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) عند قبض أرواحهم (﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾)، والمعنى: أنهم ظالمون لأنفسهم بتركهم الهجرة، لأنهم عصوا الله ـ عز وجل ـ في ترك الهجرة، ومكة لم يعد في إمكان المؤمنين أن يظهروا دينهم فيها، فقد تسلط الكفار على المؤمنين فلم

---

(١) الهجرة وأحكامها.

يستطيعوا أن يظهروا دينهم وقد نزلت الآية في أناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، فقال الله عنهم: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾) أراد ملك الموت وأعوانه الموكلين بنزع الروح، وحال من تنزع أرواحهم أنهم من (﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾) بترك الهجرة من ديار الشرك ولا زالوا مقيمين ما بين الكفار (﴿قَالُوا﴾) يعني: الملائكة مخاطبين هؤلاء الذين توفتهم الملائكة وقد تركوا الهجرة (﴿ فِيمَ كُنتُمۡۖ ﴾) أي: لم مكثتم ههنا وتركتم الهجرة؟ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، يعود معناه إلى: لِمَ مكثتم ههنا وتركتم الهجرة؟ وفي أي فريق كنتم؟ والملائكة تعلم في أي فريق كان فيه التاركون للهجرة بعد ما وجبت عليهم، وإنما تقول الملائكة لهم ذلك توبيخاً لهم، (﴿قَالُوٓاْ﴾) أي؛ الذين تركوا الهجرة (﴿كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾) أي: كنا عاجزين عن الهجرة، لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض، ولا نستطيع أن نزاول شعائر ديننا من صلاة وصوم وأذان، ولو فعل أحد منها ذلك لعُوقب أو قتل. وهم غير صادقين في ذلك (﴿قَالُوٓاْ﴾) أي: قالت لهم الملائكة معاتبة لهم: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ وهذا استفهام تقرير، وهو إنكار عليهم؛ أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فلم لا تهاجرون إلى المدينة وتخرجون من بين أهل الشرك إلى مكان لا تمنعون فيه من أداء شعائر دينكم؟ فلم يعذروا بترك الهجرة. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي: فهؤلاء الذين وصفت لكم: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾. ﴿مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب.

عباد الله: وترك الهجرة كبيرة من كبائر الذنوب وذلك على القادر على الهجرة الذي لا يتمكن من إظهار دينه ولم يهاجر.

فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعاً وفسحة في الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: فتارك الهجرة بعد ما وجبت عليه وهو قادر عليها، مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب ثم استثنى ـ جلّ ثناؤه ـ المستضعفين، الذين استضعفهم المشركون ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: الضعفاء العاجزون عن الهجرة ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ جمع وليد ووليدة. والوليد: الغلام قبل أن يحتلم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي؛ لا يستطيعون مفارقة المشركين، فلا يقدرون على حيلة، ولا على نفقة، ولا على قوة للخروج ليس عندهم ما يركبون، وليس عندهم مال ينقلهم ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يعرفون الطريق إلى الخروج من مكة إلى المدينة، حيث كانت آنذاك بلد الإسلام، ولا يوجد بلد إسلام سواها ويلحق بهؤلاء من لم يستطع الهجرة في هذا الزمن بالمعوقات القائمة من أنواع التأشيرات وأشباهها؛ لأن هذا لا يستطيع حيلة، وهو يرغب أن يترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام، لكنه لا يمكنه ذلك لوجود المعوقات، لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً أو طريقاً إلى بلد الإسلام فهؤلاء قال الله في حقهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ يتجاوز عن المستضعفين وأهل الأعذار بترك الهجرة؛ وعسى من الله واجب، لأنه للإطماع. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا﴾ متصفاً بالعفو والتجاوز عن

السيئات، ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بتركه العقوبة عليها ﴿غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عن الخطايا والأوزار، لمن تاب إليه، لا يكلف نفساً إلا وسعها.

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية».

قال ابن عباس: «كنت أنا وأمي من المستضعفين، وكان النبي ﷺ يدعو للمستضعفين في الصلاة».

ومن حيث الحكم، فإن الهجرة تارة تكون واجبة، وتارة تكون مستحبة فالواجبة إذا لم يمكن للمسلم المقيم بدار الشرك أن يظهر دينه.

والقسم الثاني: الهجرة المستحبة؛ وتكون الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام مستحبة؛ إذا كان المؤمن في دار الشرك يستطيع أن يظهر دينه؛ وذلك لأن الأصل الأول من الهجرة أن يتمكن المؤمن من إظهار دينه، وأن يعبد الله على عزة، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ نزلت فيمن ترك الهجرة، وناداهم باسم الإيمان.

عباد الله: وهناك هجرة أخرى من دار يكثر فيها المعاصي والبدع، إلى دار ليس فيها معاص وبدع أو تقل فيها المعاصي والبدع وقد ذكر العلماء

أنها مستحبة يتركها إلى دار يقل فيها ذلك، أو ليس فيها شيء من ذلك؛ لأن بقاءه على تلك الحال مع أولئك، يكون من المتوعدين بنوع من العذاب الذي يحيق بأهل القرى الذين ظلموا.

وإذا كانت الهجرة مأموراً بها من بلد الكفر، دل هذا على تحريم السفر إلى بلادهم، إلا الحاجة تدعو إلى ذلك كعلاج ونحوه، ولا يجوز السفر إليهم عند الحاجة إلا بثلاثة شروط:

الأول: أن يكون عنده علم، يمنعه مما يرد عليه من الشبهات.

الثاني: أن يكون عنده دين، يمنعه من الشهوات.

الثالث: أن يتمكن من إظهار دينه، والقيام بعبادة ربه كما أمر الله، وأن يحذر كل الحذر من موالاة المشركين.

وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين المسلم، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وإذا لم يتمكن المسلم من الهجرة، فعليه أن يظهر شعائر دينه، من الصلاة ونحوها، بقدر استطاعته، ويجب عليه أن يدعو غير المسلمين إلى هذا الدين، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم، ولذلك قال ﷺ: «**من أحب قوماً فهو منهم**» [رواه البخاري].

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله دل على الحق ورفعه، ونهى عن الباطل ووضعه، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، لا مانع لما أعطاه ولا معطي لما منعه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،حاز من الفضل والشرف أكمله وأجمعه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثره، أما بعد:

(و) دليل آخر على أن الهجرة واجبة على القادر عليها (قوله تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ﴾) وحدوني و(﴿ءَامَنُوٓاْ﴾) بي وبرسولي وأضافهم إليه بعد خطابه لهم تشريفاً وتكريماً تركوا الهجرة فناداهم الله باسم الإيمان، فدل على أن ترك الهجرة لا يسلب الإيمان، وأن ترك الهجرة ليس شركاً أكبر، وليس كفراً أكبر، وإنما هو معصية من المعاصي؛ لأنه نادى من ترك الهجرة باسم الإيمان ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ تسع جميع الخلائق؛ لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله ولم تقدروا على تغييره، فاهربوا منه إلى أرضي الواسعة التي تسع جميع الخلائق، وهذا دليل على وجوب الهجرة إذا كان الإنسان يخاف على دينه ويمنع من ممارسته.

فإذا كان الإنســـان في أرض لم يتمكن من إظهار دينه فيها، فإن الله قد وسع له الأرض ليعبده فيها كما أمر، وأن يوحده في أرضه الواسعة، ولذلك يجـــب على كل من كان ببلد تعمل فيهـــا المعاصي ولا يمكنه تغييرها أن يهاجـــر منهـــا ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ أي؛ وحدون، أظهروا لي العبادة في أرضي الواسعة التي خلقتها وما عليها لكم، وخلقتكم عليها لعبادتي.

(قال) أبو محمد الحسين بن مسعود (البغوي ـ رحمه الله ـ) في تفسيره الذي قال عنه ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «اجتمعت الأمة على تلقي تفســـيره بالقبول، وقراءته على رؤوس الأشـــهاد من غير نكير»: (سبب نزول هذه الآية) كـــما قال مقاتل والكلبي: نزلت (في) ضعفاء (المســـلمين) الذين أقاموا (بمكة) وبقوا مع الكفار و(لم يهاجروا) منها إلى المدينة (ناداهم الله باسم الإيمان)،فأفاد أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه بكافر لكنه عاص بتركها، فهو مؤمن ناقص الإيمان، عاص من عصاة الموحدين المؤمنين.

(والدليل على) أن (الهجرة) مفروضة على هذه الأمة، وأنها باقية إلى قيام الســـاعة، كما بقي القتال في ســـبيل الله دليل ذلك (من السنة قوله ﷺ) في الحديـــث الذي رواه أبو داود عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: («**لا تنقطع الهجـــرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشـــمس مـــن مغربها**»)، (لا تنقطع) أي؛ لا يســـقط وجوب (الهجرة) من بلد الشرك إلى بلد الإسلام (حتى تنقطع التوبة) أي: حتى لا تقبل التوبة ممن تاب.

فدل الحديث على أن التوبة مـا دامت مقبولة فالهجرة واجبة بحالها، وأما قول النبي ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، لكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**» [متفق عليه]، فالمراد لا هجرة بعد فتح مكة منها إلى المدينة، حيث كانت مكة بعد فتحها بلد إسلام، وقد كانت الهجرة من مكة مأموراً بها لما كانت بلد كفر، أما وقد كانت بلد إسلام فلا.

(ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) فإذا طلعت الشمس من مغربها لم تقبل التوبة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] فدل على أنها تقبل قبل طلوع الشمس من مغربها، لأنه ليس ثم عمل ينفع العبد وإذا كانت التوبة تقبل، فإن الهجرة لا تنقطع.

هذا وصلوا...



٢١ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله أهل التقوى وأهل المغفرة، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه واستغفره؛ نعمه لا تحصى، وآلاؤه ليس لها منتهى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ـ ونفسي ـ بتقوى الله، فتقوى الله جماع الخيرات، وحصون البركات.

عباد الله:

لا زال مؤلف كتاب «ثلاثة الأصول» يذكر سيرة النبي ﷺ وحياته وما أرسل به.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (فلما استقر) ﷺ (بالمدينة) بعد أن هاجر إليها من مكة، وفشا التوحيد، ودان به أولئك، وأقاموا الصلاة (أمر ببقية شرائع الإسلام) التي تعبد الله خلقه بها، إذ عامة شرائع الإسلام لم تشرع إلا في المدينة. إلا الصلاة فإنها لعظمها شرعت في مكة ليلة الإسراء وهي قبل

---

(١) في ذكر سيرة النبي ﷺ.

الهجرة. (أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة) المفروضة تفصيلها المعلوم، (والصوم) المفروض في شهر رمضان، وقد فرض في السنة الثانية من الهجرة. (والحج) إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً. وقد فرض في السنة التاسعة من الهجرة. (والأذان) للصلوات الخمس المكتوبة، وقد شرع في السنة الأولى من الهجرة. (والجهاد) في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وكان هناك تدرج في فرضه. قال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٠ ـ ١٩١] (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من أعظم شرائع الإسلام، قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وهذه صفته في الكتب المتقدمة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عام، وفرض على كل أحد بحسبه، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وأعلاه باليد، فمن لم يقدر فبلسانه، فمن لم يقدر فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

وإنما خص المؤلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون غيره من بقية الشرائع؛ لأنه باب عظيم، دل على وجوبه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو وظيفة الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وسمة من سمات الإيمان، وحق من حقوق المسلم على أخيه، والأدلة على ذلك معلومة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(وغير ذلك من شرائع الإسلام) كبر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، وسائر مكارم الأخلاق، ومحاسن الإسلام كما هو معروف في شريعته ﷺ. وقد (أخذ) ﷺ في المدينة بعد الهجرة (على هذا) البيان والتعليم، وتبليغ الشريعة وبيانها والدعوة لبقية الشرائع. وفي هذا دليل على عظم شأن التوحيد في هذا الدين، حيث مكث ﷺ عشر سنين يدعوا إلى التوحيد ونبذ الشرك.

عباد الله: أخذ ﷺ (عشر سنين) كلها توحى إليه فيها الشرائع، أركانها وواجباتها ومستحباتها، وما ينافي ذلك. فتم شريعة الله صدقاً وعدلاً، قال تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

(وبعدها) أي؛ بعدما أكمل الله به الدين وبلغ البلاغ المبين. ابتداء به ﷺ المرض في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فخرج إلى الناس عاصباً رأسه فصعد المنبر فتشهد وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أنه استغفر للشهداء الذين قتلوا في أحد، ثم قال: «**إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله**» وتوالى المرض عليه واشتد حتى (توفي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ) والصلاة من الله ـ عز وجل ـ هي الثناء عليه ﷺ في الملأ الأعلى. توفي في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشر، (ودينه باق) موجود محفوظ، وهو ما تضمنه الكتاب والسنة، مؤيد محفوظ إلى يوم القيامة، باق موجود إلى قيام الساعة لأن الله تكفل بحفظه وحفظ كتابه ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]. لأنه دين عـام إلى يوم القيامة للبشرية كلها، لا يقبل الله ـ عز وجل ـ من أحد ديناً إلا هذا الدين. كاف لمن تمسك به. قال ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وسنتي**».

(وهذا دينه) الذي ذكر فيما سبق (لا خير) هذا من صفاته ﷺ أنه لا خير (إلا دل) ﷺ (الأمة عليه) وأرشدها إليه، ورأس ذلك التوحيد وضده الشرك قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وهـذا الدين الذي يذكره هو أصوله وإذا تمسك به الإنسان نجا من عذاب الله.

(ولا شر) من الأقوال والأفعال (إلا حذرها منه) خوفاً على أمته من الوقـوع في المهلكات، وقد بلغ الدين كله، وبينه جميعه، كما أمره الله ـ عـز وجل ـ وكل ما أمر به فهو خير للأمة في معادها ومعاشـها، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة في معاشـها ومعادها.

(والخـير الذي دل) النبي ﷺ أمته (عليه) وتكفل الله بحفظه، فتوارثه أهل العلم والدين خلفاً عن سـلف هو (التوحيـد) فهو أصل كل خير وأعظمه، وأوجب الواجبات ولأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب (و) قد دلنا ﷺ على (جميع ما يحبه الله ويرضاه) من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة (والشر) الذي هو أصل كل شر وأعظمه، وأول ما أمر به ﷺ الإنذار عنه (الذي حذرنا منـه) وأعلمنا به، هو: (الشرك) الذي هو أعظـم الذنوب وأكبرها، وصاحبه مخلد في النار، كما حذرنا ﷺ من (جميـع ما يكرهه الله) ويبغضه (ويأباه) وينهى عنه من الأقوال والأعمال.

قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ: **(ما توفي رسول الله ﷺ إلا وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً)** [رواه أحمد].

(بعثه الله) ـ عز وجل ـ وأرسله، (إلى الناس كافة) عربهم وعجمهم، وذكرهم وأنثاهم، حرهم وعبدهم، (وافترض) وأمر الله (طاعته) ﷺ (على جميع الثقلين) وهما (الجن والإنس) (والدليل) على أنه مبعوث إلى الناس كافة (قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ العرب والعجم، أهل الكتاب وغيرهم ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ واجب عليكم اتباعي وطاعتي، ﴿جَمِيعًا﴾: تأكيد بعثه إلى الناس كافة. فلا طريق إلى الخلاص من العذاب إلا بطاعته واتباعه ﷺ، وإلا يكون العذاب ملازماً للإنسان إذا لم يتابعه. وفي حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**... كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**» [رواه البخاري]. وأما الدليل على أن الله ـ عز وجل ـ أرسله إلى الثقلين، وافترض طاعته عليه فقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

(وأكمل الله) أي لنبينا محمد ﷺ أحكام وشرائع (الدين) فلم يتوف ﷺ حتى أكمل الله به الدين، وبلغ البلاغ المبين فليس في الدين نقصان، وليس فيه مجال للزيادة، قال ﷺ: «**تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهار، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**». (والدليل) على ذلك (قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم عرفة، والنبي ﷺ واقف يخطب في حجة الوداع قبل وفاته ﷺ بثمانين يوماً ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي: صدقاً في الأخبار،

وعــدلاً في الأوامر والنواهــي، وفيها: بيان أن الله أكمــل لنا الدين، وأنه كمل مــن جميع وجوهه، والكامل لا يزاد فيه، ولا ينقص منه، ولا يبدل، قــال تعالى ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦۚ﴾ [الأنعــام: ١١٥] فمن أدعى أنه يحتاج إلى زيادة، فقد كذب وافترى، ورد مدلول هذه الآية، ومدلول قوله ﷺ، «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**» [رواه أبو داود].

ولما أخبر ـ تعالى ـ أنــه أكمل لنا الدين، وهو أكبر نعمة علينا قال: ﴿وَأَتْمَمْتُ﴾ أي أكملت ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ ومن تمت عليه النعمة فقد أفلح كل الفلاح.

قــال ابن القيم: «وتأمل كيف وصف الدين الذي اختاره لهم بالكمال، والنعمة التي أســبغها عليهم بالتمام، إيذاناً في الدين بأنه لا نقص فيه ولا عيب، ولا خلل ولا شيء خارجاً مــن الحكمة بوجه، بل هو الكامل في حســنه وجلالته، ووصف النعمة بالتمام إيذاناً بدوامها واتصالها، وأنه لا يســلبهم إياها بعد إذ أعطاهموها، بل يتمها لهــم بالدوام في هذه الدار، وفي دار القرار».

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًاۚ﴾ أي؛ فارضــوه لأنفســكم، فإنه الدين الذي أحبه ورضيه، وبعث به أفضل رسله، وأنزل به أشرف كتبه، قال كعب: «لو نزلت هذه الآية على غير هذه الأمة، لاتخذوا اليوم الذي نزلت عليهم فيه عيدا» قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: «**نزلت يوم الجمعة يوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد**» [رواه البخاري].

وتأمل كيف أضاف الله ـ تعالى ـ الدين إلى العباد، إذ هم القائمون به، المقيمون له، وأضاف النعمة إليه، إذ هو موليها والمنعم بها.

أيهـا المسـلمون: ومن الأدلة على إكمال الدين قوله ﷺ: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك**» [رواه ابن ماجة].

(والدليـل) من كتاب الله ـ عز وجل ـ (على موتـه) ﷺ يعني أنه يلزم اعتقـاد ذلك؛ لأنه واقع وقـد أخبر الله به كما في (قولـه تعالى ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمـد ﴿مَيِّتٌ﴾ أي: إنك يا محمد ستموت وتُنقل من هذه الدار لا محالة، وقد مات وغسل وكفن وصلي عليه، ودفن ﷺ في غرفة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالمدينة؛ سنة إحدى عشر للهجرة.

﴿وَإِنَّهُم﴾ أي جميع الخلق ﴿مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي؛ سيموتون مثلك، وقد تكرر التنبيه على وفاتـه ﷺ؛ لأن البقاء من خصائص الرب ـ عز وجل ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ كلكم جميعاً ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ تبعثون في أرض المحشر، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ فيما تنازعتم فيه واختلفتم، فيفصل بينكم بحكمه العادل، وهذا دليل على البعث.

(والناس إذا ماتـوا يبعثون) ليجازي كلّاً بعملـه ويقتص بعضهم من بعـض حتـى البهائم. وهذا من كمال عـدل الله ـ عز وجل ـ وفي هذا إشـارة إلى وجوب الإيمان بالبعث، وأن الإيمان بـه من جملة الإيمان باليوم الآخر وما فيه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

بارك الله...



الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، وإليه يرجع الأمر كله، خلقنا ورزقنا، وآوانا وكسانا، وجعلنا في الناس خير أمة، أشهد أن لا إله إلا الله العلي العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين، **أما بعد:**

فإن البعث حق ثابت، دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وهو مقتضى الحكمة، حيث تقتضي أن يجعل الله ـ تعالي ـ لهذه الخليقة ميعاداً يجازيهم فيه على ما شرعه لهم، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

والإيمان بالبعث والنشور من القبور، من جملة الإيمان باليوم الآخر، فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بالبعث، بل الإيمان بالبعث هو معظم الإيمان باليوم الآخر، وهو الذي كان ينكره أهل الجاهلية، أنكروا أن تعود هذه الأجساد كما كانت عظامها ولحمها وعصبها، وذلك من جهلهم بكمال علمه ـ تعالى ـ، وقدرته على كل شيء، ولهذا يقرر ـ تعالى ـ بعث الأجساد، وردها كما كانت في مواضع من كتابه، بكمال علمه وقدرته.

(والدليل) على أن الناس يبعثون بعد الموت (قوله تعالى: ﴿مِنْهَا﴾) أي؛ من الأرض وكل الناس أصلهم من التراب ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي؛ مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض. ﴿وَفِيهَا﴾ أي الأرض

﴿نُعِيدُكُمْ﴾ بعـد الموت فتدفنون فيهـا ﴿وَمِنْهَا﴾ أي من الأرض بعد دفنكم ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ يوم البعث والحسـاب ﴿تَارَةً﴾ أي مرة ﴿أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ كقولـه تعـالى ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعـراف: ٢٥] وفي الحديـث أنه ﷺ «**أخذ قبضة من تـراب، فألقاها في القبر**» فقال «**منها خلقناكم وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى**». وفي هذا بين ـ رحمـة الله تعالى ـ أن الناس إذا ماتوا يبعثـون، يبعثهم الله ـ عز وجل ـ أحياء بعد موتهم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسـال الرسـل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم العظيم يوم البعث والنشور

(و) دليل آخر على أن الناس يبعثون بعد موتهم (قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أراد الله ـ تعالى ـ مبدأ خلق آدم وذريته من الأرض والناس ولد آدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي؛ يعيدكم في الأرض إذا متم ودفنتم بها ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ من الأرض، بعد البعث أحياء ﴿إِخْرَاجًا﴾ يعيدكم يوم القيامة، كما بدأكم أول مرة للحسـاب والجزاء، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، وفيه إشارة إلى أن البعث يكون للروح والجسد؛ فالإخراج من الأرض لا يستقيم إلا مع الأبدان.

وقد أبدى الله ـ عـز وجل ـ وأعاد في إثبات المعاد حتى يؤمن الناس بذلك، ويزدادوا إيماناً ويعملوا لهذا اليوم العظيم.

(وبعد البعث) أي؛ بعث الخلق وقيامهم من قبورهم، فإنهم (محاسبون) على الأعمال، حسـنها وسـيئها، والإيمان بالحسـاب، والمجازاة على

الأعــمال، من الإيمان باليــوم الآخر أيضاً. (ومجزيــون بأعمالهم) بعد الحســاب، مجزيون على أعمالهم دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها. إن خــيراً فخيرا، وإن شراً فشر، قال تعــالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾. وقولــه تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

(والدليــل) عــلى أن الخلق يبعثــون بعد موتهم، ويحاســبون على أعمالهم (قوله تعــالى: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ أي: ســيجازي الله ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾ العمل من الشرك فما دونه يجازيهم ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من إســاءة، ولم يقل بالســوأى كما قال: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ وهــم الذين وحدوا ربهم وأخلصــوا له الطاعة، ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ وهي الجنة. بل من تحقيق العدل في ذلــك اليوم الذي لا ظلم فيه، أنه تعالى يقتص للحيوانات والعجماوات التي رفع عنها التكليف بعضها من بعض في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**» [رواه مسلم].

عبــاد الله: والبعث بعد الموت من أركان الإيمــان يجب التصديق به والإيمــان (ومن كذب بالبعث) وأن الله لا يبعــث من في القبور (كفر) لتكذيبه الله ـ عز وجل ـ ورســوله ﷺ وإجماع المسلمين (والدليل) على أن التكذيــب بالبعث كفر (قوله تعــالى: ﴿زَعَمَ﴾) أي؛ ظن، والمقصود بــه الكذب والبهتــان ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ۚ﴾ بعد الموت؛ وهذا نفي للمســتقبل كفرهم الله ـ تعــالى ـ بإنكارهم للبعــث في زعمهم. فرد

الله ـ عز وجل ـ عليهـــم بقوله ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمنكري البعث، ولعظمة المُقسم عليه أمر تعالى نبيه أن يقسم بربه على ذلك. ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ ســتبعثون يوم القيامة للحساب ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ وتجاوزن عليها جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرهـــا ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي؛ البعث بعد الموت ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ سهل لا يعجزه ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الـروم: ٢٧] فقـــد أوجده الله من العدم، ثم أوجده من طين، وذراريه من ماء مهين، ثم خلقهم وصورهم، وجعل لهم السمع والأبصار ليدركوا خلقه وقدرته ـ جل وعلا ـ.

هـــذا جملة من الآيـــات في حقيقة البعث ووجوب الإيمـــان به، وأما إقنـــاع المنكرين له فبأمور منها: أن أمـــر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشرائع السماوية وتلقته أممهم بالقبول، ومنها أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وصدقه الحس والواقع.

ومنهـــا: أن الحكمة تقتضي البعث بعـــد الموت لتجازي كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً لا قيمة له، ولا حكمة منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة.

هذا وصلوا...



٢٢ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الكريم المتفضل بالعطايا والإحسان، عمت نعمته كل حي، ووسعت رحمته كل شيء، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك يعطي ويمنع ويرفع ويخفض، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ فإن التقوى فوز وصلاح، ونجاة وفلاح.

عباد الله:

لا يزال المؤلف يذكر الأصل الثالث من أصول الدين الثلاثة، وهو معرفة نبينا محمد ﷺ.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (وأرسل الله) ـ عز وجل ـ (جميع الرسل) من أولهم نوح ـ عليه السلام ـ إلى آخرهم محمد ﷺ، كلهم يدعون إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه (مبشرين) بالجنة والحياة الطيبة من أجابهم إلى ما دعوا إليه (ومنذرين) ومحذرين من عصاهم من غضب الله وسخطه وعقابه، وهذه حكمة من الحكم العظيمة لإرسال الرسل إلى البشر ووظيفة من وظائف الرسل وهي أنهم يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب. والبشارة والنذارة هي وظيفة جميع المرسلين والأنبياء الذين بعثهم الله تعالى وقد قاموا بما أمرهم الله به من تبليغ الرسالات ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٢] فلا يقولون يوم القيامة، ما أرسلت إلينا رسولاً، ما أنزلت إلينا كتابا، فانقطعت حجة الخلق على

---

(١) وظيفة الرسل وأولهم نوح.

الله، بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإقامة الحجج عليهم، وتبين الحق لهم،وركز الفطرة في قلوبهم، وانقطعت المعذرة ولم يبق للناس على الله حجة. قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ فحصر وظيفتهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بأقوى أدوات الحصر: النفي والإثبات، ولم يفرق بين الأنبياء والرسل في ذلك، والغاية كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾.

(وأولهم) أي؛ أول الرسل (نوح ـ عليه السلام ـ) وكان بين نوح وبين آدم عشرة قرون كلهم على الإسلام، فلما حدث الشرك بسبب الغلو في الصالحين أرسل الله إليهم نوحاً، وهو أول رسول إلى أهلِ الأرض (وآخرهم) أي آخر الرسل (محمد ﷺ) والدليل على أن محمداً آخرهم؛ قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقوله ﷺ: «**إنه لا نبي بعدي**» [متفق عليه]. فلا نبي بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر، مرتد عن الإسلام.

عباد الله: وما من أمة من الأمم، ولا طائفة من الطوائف، إلا وقد بعث الله فيهم رسولاً، إقامة منه ـ تعالى ـ للحجة على عباده، وإيضاحاً للمحجة، يدعوهم إلى التوحيد ويحذرهم من الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥]. ولما كانت الرسل قبل محمد ﷺ كلما هلك نبي خلفه نبي، قيض الله لهذه الأمة أئمة هدى، حفظ الله بهم دينه، وأقام بهم الحجة على عباده، ولا تزال إلى قيام الساعة، كما أخبر به ﷺ في قوله «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، إلى قيام الساعة**».(والدليل) من الكتاب (على أن أولهم نوح عليه السلام، قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

فأقام ـ تعالى ـ الحجة، وقطع المعاذير، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب.
(وكل أمة) أي؛ وما من أمة من الأمم وطائفة من الطوائف وجماعة من الناس إلا وقد (بعث الله إليها رسولاً) يدعوهم إلى التوحيد ويحذرهم من الشرك بدءًا (من نوح) ـ عليه السلام ـ، وهو أول رسول من بني آدم إلى أهل الأرض (إلى محمد) وهو خاتمهم ﷺ (يأمرهم) ويدعوهم (إلى عبادة الله وحده) لا شريك له (وينهاهم) ويحذرهم (عن عبادة الطاغوت) والطاغوت: صيغة مبالغة مبنية للكثرة والسعة، وهو اسم لكل ما تجاوز به العبد حده والتبري منها ومن أهلها، فخلاصة جميع ما أرسلت به الرسل: هو التوحيد، وما سواه من تحريم وتحليل ففروع، ولا يؤمر بها إلا بعد وجود التوحيد، ولا تقبل ولا يلتفت إليها إلا مع التوحيد، الذي هو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم ولأجله خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلقت الجنة والنار.
(والدليل) على ذلك (قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا﴾ أي؛ أرسلنا ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي؛ طائفة وجماعة وقوم، ولقد أكد تعالى هذا العموم بلفظه ﴿كُلِّ﴾ التي هي من ألفاظ العموم، و(بقد) التي تفيد التحقيق واللام الموطئة للقسم. ﴿رَّسُولًا﴾ يأمرهم بتوحيد الله قائلاً لهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وأخلصوا له العبادة لله وحده ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ بالكفر به. ومثل هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] وغير ذلك من الآيات الدالة عظم التوحيد، وكلا الآيتين فيها العموم الواضح: أن أول شيء بدأت به الرسل قومهم، هو التوحيد.
وهذا الآية دليل واضح على أن الرسالة عمت كل أمة وأن دين الأنبياء واحد، كما أن الآية دليل على عظم شأن التوحيد وأنه واجب على جميع

الأمم، وقد افترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، لأن توحيد العبد لا يتم إلا بذلك.

أيها المسلمون: ومعرفة عظمة التوحيد، بأن تصرف الهمم إليه، وإلى معرفته والعمل به، غاية الجهد. وإلى معرفة ما يضاده، وما سواه من أنواع العلوم الفرعية بعد ذلك، فيهتم الإنسان غاية الاهتمام: بمعرفة أصل الدين إجمالاً، قبل الواجب من الفروع، الصلاة والزكاة وغير ذلك، فلا تصح الصلاة، ولا الزكاة قبل الأصل، فلا بد من معرفة أصل الدين إجمالاً، ثم معرفة فروعه تفصيلاً.

وفي حديث معاذ، لما بعثه ﷺ إلى اليمن، قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فاعلمهم: إن الله افترض عليهم، خمس صلوات في كل يوم وليلة**» وهذا يفيد أنهم إذا لم يعلموا التوحيد، ولم يعملوا به، فلا يدعوهم للصلاة، إن لم يطيعوه في الدخول في الإسلام، فإن الصلاة لا تنفع، ولا غيرها بدون التوحيد؛ فإنه لا يستقيم بناء على غير أساس، ولا فرع على غير أصل.

والأصل والأساس، هو: التوحيد. والصلاة وإن كانت هي عمود الإسلام، فمع ذلك لم تفرض، إلا بعد الأمر بالتوحيد بنحو عشر سنين.

ومما يبين أن التوحيد هو الأصل: كونه يوجد من يدخل الجنة: ولو لم يصل ركعة واحدة وذلك إذا اعتقد التوحيد، وعمل به، ومات متمسكاً به، كأن يقتل قبل أن يصلي أو يموت؛ والصلاة لا تنفع وحدها، ولو صلى وزكى وصام، إذا لم يعتقد التوحيد، وبذلك يعرف، عظم شأن التوحيد.

وما هلك من هلك، إلا بترك العلم بالتوحيد، والعمل به؛ وما دخل الشياطين، على من دخل، ولا مزق عقول من مزق، ولا وقع ما وقع، إلا من آفة قولهم: يكفي النطق وبالشهادة، ومجرد المعرفة؛ حتى أن من

علمائهم، من لا يعرف التوحيد أصلاً، وذلك لكونهم ابتلوا بالشرك، وعبادة الأوثان، وكثرة الشبهات الباطلة، فبذلك خفي التوحيد، على كثير ممن يدعي العلم، لعدم المعرفة به.

وإلا فمعرفة التوحيد، والشرك، من أهون ما يكون، وأسهله إجمالاً، كما في زمن الصحابة؛ فإنهم كانوا يعرفون التوحيد والشرك، فمن قال لا إله إلا الله: يترك الشرك، ويعلم أنه باطل، مناف لكلمة الإخلاص، ولهذا لما دعاهم النبي ﷺ إلى التوحيد وقال: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] وأما حين كثرت الشبهات صعب، معرفة التوحيد، والتخلص من ضده، وكثر النفاق، وصار الكثير يقولها، ويعبد مع الله غيره.

(وافترض) أي: أوجب (على جميع العباد) من إنس وجن، وذكر وأنثى، وعربي أو أعجمي، حر أو عبد، (الكفر بالطاغوت) والتبرؤ من الآلهة وأهلها واعتقاد بطلانها وأنها لا تنفع ولا تضر، (والإيمان بالله) أي: توحيده وإفراده بالعبادة وحده دون سواه.

ومن آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت؛ لا يسمى موحداً، وإنما الموحد من جمع بين ركني التوحيد، وهما الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، كما قال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ولأجل ذلك أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، بل الدين أمران، كفر بالطاغوت، وإيمان بالله، ومن كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

بارك الله لي ولكم...



الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه.

أيها المسلمون:

دل الكتاب والسنة على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، فإنه لا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه؛ وتحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد، وتحقيقه على نوعين، واجب ومندوب:

فالواجب: تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي وهذا مقام أصحاب اليمين؛ وهم الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، فالشرك الأكبر ينافيه بالكلية، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع تقدح في التوحيد، والمعاصي تنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققاً للتوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي.

والمندوب: تحقيق المقربين، فأضافوا إلى ما تقدم فعل المستحبات وترك المكروهات، وبعض المباحات؛ وهذا مقام السابقين المقربين،

وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام.

(قال) أبـــو عبد الله الإمام محمد بن أبي بكر المشـــهور بـ (ابن القيم) الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب التصانيف المعروفة، قال في تعريف الطاغـــوت: (الطاغوت) هـــو (ما تجاوز به العبد حـــده) أي؛ قدره الذي ينبغـــي له في الشرع، وصـــار بخروجه منه وتجاوزه طاغوتاً، ســـواء كان هـــذا الطغيان، أو التدعي والتجاوز من (معبود) مع الله بأي نوع من أنواع العبادة (أو متبوع) في معاصي الله ويدخل في ذلك علماء السوء الداعين إلى الكفر والضلال، والكهان والســـحرة الذيـــن يتبعون فيما يقولون (أو مطـــاع) من دون الله في التحليل والتحريـــم، بأن كان يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله، ثم قال ابن القيم: «فإذا تأملت طواغيت العالم فإذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة».

هذا وصلوا...

٢٣



الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله الذي أوجدنا من العدم، وربانا بالنعم، وجعل الوحي لنا نوراً نهتدي به في حالك الظُلم، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قد أفلح من بحبله اعتصم، وأشـــهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وســـلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين.

أمـــا بعد: فاتقوا الله ـ عباد الله ـ فقـــد فاز من اتقاه وأخذ من دنياه لأخراه، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

أيهـــا المســـلمون: حق العباد على الله؛ أن يوحـــدوه بالعبادة ويفردوه، ويتجردوا من الشرك صغيرة وكبيرة، ومن لم يتجرد من الشرك لم يكن آتياً بعبادة الله وحده، بل هو مشرك قد جعل لله ندًّا في عبادته.

عباد الله:

ما لم يتحقق التوحيد وإخلاص العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم، فـــلا تقبل صلاة ولا زكاة، ولا يصح صوم ولا حج، ولا يزكو أي عمل يتقرب به إلى الله، قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

---

(١) أنواع الطواغيت.

وإذا لم يتحقق التوحيد ويصدق الإخلاص فلا تنفع شفاعة الشافعين، ولا دعاء الصالحين، حتى ولو كان الداعي أشرف الأنبياء محمداً ﷺ اقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

عباد الله:

عرفنا في الخطبة الماضية ما حده ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في تعريف الطاغوت، وتبين لنا أن (الطواغيت كثيرة) جداً. (ورؤوسهم) أي زعماؤهم ومقلدوهم بالاستقراء والتأمل (خمسة) هي أجناس وليست خمسة أفراد فقط؛ وما عدا هذه الخمسة فهو متفرع عنها، أولهم: (إبليس) الشيطان الرجيم، وهو رأسهم الأكبر، فقد تجاوز ما أمر الله به وعصاه، وارتكب ما نهاه عنه، وهو الداعي إلى عبادة غير الله فهو أول الطواغيت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [يس: ٦٠] والمراد بعبادة الشيطان: طاعته؛ فيدخل في ذلك جميع أنواع الكفر والمعاصي؛ لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له. وقد (لعنه الله) فهو مطرود مبعد عن رحمة الله.

وكان إبليس مع الملائكة في صحبتهم يعمل بعملهم، ولما أمر بالسجود لآدم ظهر ما فيه من الخبث والإباء والاستكبار، فأبى واستكبر وكان من الكافرين فطرد من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

(و) الثاني من الطواغيت (من عُبد وهو راض) بتلك العبادة الصادرة من العابد بأي نوع من أنواعها، من عبادة وتوسل وغيرها فإنه من رؤوس

الطواغيت، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩]. وسواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك، وهذا قيد لا بد منه لإخراج من عبد من دون الله ـ تعالى ـ وهو غير راضى بذلك، فلا يدخل في هذا المسمى مثل: عيسى وأمه والملائكة.

(و) الثالث من الطواغيت (من دعا الناس) وحثهم (إلى عبادة نفسه) ممن يقر الغلو، والتعظيم بغير حق، كفرعون، وأهل الضلال، الذين غرضهما: العلو في الأرض، والفساد، واتخاذهم أرباباً، والإشراك بهم في حياتهم أو بعد مماتهم، وحكي عن بعض أئمة الضلال أنه قال: من كان له حاجة، فليأت إلى قبري، وليستغيث بي. وهو من الطواغيت سواءً أجيب لما دعا إليه أم لم يجيب.

(و) الرابع من الطواغيت أيضاً (من ادعى شيئاً من علم الغيب) كالمنجمين والرمالين من الكهان ونحوهم، فهم من الطواغيت، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] وهذا من تمام إحكام الخلق، قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٢].

عباد الله: والغيب: ما غاب عن الإنسان وهو نوعان: واقع ومستقبل، فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً ولآخر مجهولاً، وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده، أو من أطلعه عليه من الرسل. فمن أدعى علم الغيب؛ فهو كافر لأنه مكذب لله ـ عز وجل ـ

ولرسوله قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

(و) الخامس من الطواغيت (من حكم بغير ما أنزل الله) كمن يحكم بقوانين الجاهلية، وبأحكام من وضع البشر وهو ليس من الشرع؛ فهو طاغوت من أكبر الطواغيت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

والحكم بما أنزل الله ـ تعالى ـ من توحيد الربوبية، لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمى الله المتبوعين في غير ما أنزل الله ـ تعالى ـ أرباباً لمتبعيهم، فقال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١] فسمى الله ـ تعالى ـ المتبوعين أرباباً حيث جعلوا مشرعين مع الله ـ تعالى ـ، وسمى المتبعين عُباداً حيث أنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله ـ سبحانه وتعالى ـ. ويكون الحكم بالقانون كفراً إذا كان غالباً فاشياً؛ لأنه استبدل شريعة مكان شريعة، فإذا غلب ذلك صار استبدالاً، وهذا قيد مهم.

(والدليل) على أن الله افترض على جميع العباد الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده (قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي

ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في الإسـلام، فإنه بين واضح جلي، دلائله وبراهينـه، لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه، فمن هداه الله وشرح صدره، ونور بصيرته دخل على بينه، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً. ولهذا قال بعده: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ أي ظهر وتميز الحق مـن الباطل، والإيمان من الكفر، والهدى من الضلال بالآيات والبراهين الدالة على ذلك. فإذا تبين الرشـد من الغي فإن كل نفس سليمة لا بد أن تختار الرشـد على الغي قيل هذا قبل الجهـاد، وقيل نزلت هذه الآية في أهل الكتاب لأنهم مخيرون بين الإسلام والجزية. ولا منافاة بين هذه الآية والآيـات الدالة على وجوب الجهـاد، لأن الجهاد مشروع لقتال كل من وقف في وجه الإسـلام، أما أنه يلزم ويكره على الدخول في الإسلام فلا، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ﴾ يخلـع الأنداد والأوثان ويتبرأ منها ومن أهلها ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ ويفرده بالعبادة ويخلص له جميع الأعمال.

عباد الله: وبدأ الله ـ عز وجل ـ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله، لأن مـن كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ أي؛ اعتصم وتمسك تمسكاً تاماً. ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ وهي التوحيد. والعروة: موضع شـد اليد، والوثقى هي: القوية. وفي الآيـة قوله تعالى ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ ولم يقل (تمسـك) لأن الاستمسـاك أقوى من التمسك فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك. ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أي لا تنفك ولا تنفصم (وهذا معنى لا إله إلا الله) فإن معنـى (لا إله) كفر بالطاغوت و(إلا الله)

إيمان بالله واستسلام لأمره وشرعه. فمن تمسك بالتوحيد، دين الله الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه؛ وصل الجنة بكل حال.

(وفي الحديث) الذي رواه أحمد والترمذي: (رأس الأمر) أي؛ رأس الدين الذي جاء به النبي ﷺ هو (الإسلام) والمقصود به التوحيد فمن انتسب إلى ما جاء به النبي ﷺ، وادعى أنه من أمة الإجابة، وقد فقد منه رأس الأمر وحقيقته،وهو الإسلام، فليس من أمة الإجابة. وأراد المؤلف ـ رحمه الله ـ الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأساً، فرأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ الإسلام.

والإسلام هو الملة والدين، فمن فقد منه، فقد كذب وافترى، في دعواه الاستجابة لله ورسوله.

قال شيخ الإسلام: «كل اسم علق بأسماء الدين من إسلام أو إيمان أو غيرهما، إنما يثبت لمن اتصف بتلك الصفة الموجبة لذلك» كمن ادعى أنه متبع لرسول الله ﷺ، وهو يدعو مع الله غيره، كأن يسأله قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، ويزعم أن ذلك قربة إلى الله، وأنه مما يحبه النبي ﷺ، وهذا مخالف لما جاء به ﷺ من إفراد العبادة لله عز وجل.

(وعموده) أي؛ قوام الدين (الصلاة) فهي أعظم ركن بعد الشهادتين، و هذا فيه عظم شأن الصلاة، وأنها من الدين بهذا المكان العظيم وهو: أن مكانها من الدين، مكان العمود من الفسطاط، فكما أن عمود الفسطاط إذا سقطت، سقط الفسطاط، فكذلك إذا فقدت الصلاة، سقط دين تاركها،

ولم يبق له دين، لأن مجرد ترك الصلاة كفر مخرج من الملة، قال ﷺ: «**بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة**» [رواه البيهقي] وجعل سبحانه تارك الصلاة مستحقًّا لدخول النار فقال ـ عز وجل ـ قالوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

(وذروة سنامه الجهاد) تشبيه للأمر بالجمل، والجمل أعلاه ذروة سنامه، والجمل متحرك، والجهاد أيضاً يبعث على الانتشار، فهو سبب انتشار الإسلام، والإسلام تميز بالجهاد في سبيل الله؛ ذروة الشيء أعلاه وأرفعه وأكمله، وهكذا الدين ذروة سنامه وعلو أمره ورفعته وعزته هو في (الجهاد في سبيل الله) لأن به علو الإسلام على غيره، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد في سبيل الله ليقوم الإسلام ولتكون كلمة الله هي العليا، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. فالجهاد هو أعلى وأرفع خصال الدين، وذلك لأن فيه بذل المهج، التي ليس شيء أنفس منها، ولا يعادلها شيء ألبته، ويبذل ماله لظهور الدين وتأييده، وجهاد الكفار والمنافقين، فبذلك استحق أن يكون من الدين بهذا المكان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١].

قال ابن تيمية: «ومعلوم أن الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أفضل الأعمال».

بارك الله لي ولكم..



الخطبة الثانية

الحمـــد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الديـــن ولو كره الكافرون، أحمده ـ ســبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـــهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، حَمَى حِمَى التوحيد، وسد كل طريـــق يوصل إلى الشرك، فأظهر الله بـــه دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

وبعد أن بذل المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ جهده في بسط هذه الثلاثة الأصول وتحريرها والاستدلال على مسائلها من نصوص الكتاب والسنة بما تنشـــرح له نفس كل مؤمن موحد، أظهر عجزه وافتقاره إلى الله ربه ـ سبحانه ـ الذي أحاط بكل شيء علماً، بأن وكل العلم إلى عالمه، خشية أن يكون قد وقع منه ســـهواً أو هفوة مما لا يسلم منه مخلوق. وختم هذه الرســـالة الجليلة بقوله: (والله أعلم) ثم صلى على نبينا محمد ﷺ الذي جعله الله تعالى ســـبباً لهداية البشرية (وصـــلى الله) أي؛ اللهم اثن (على) نبينا محمد في الملأ الأعلى أي؛ عند الملائكة المقربين (وعلى آله) وهم اتباعه على ملتـــه (وصحبه) الكرام، وهم كل من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً ومات على ذلك. (وســـلم) عليهم واجعلهم سالمين من الآفات والآثام والمكاره، ومن النقائص والرذائل وفي الجمع بينهما سر بديع ففي الصلاة حصول المطلوب وهو الثناء عليه، وفي السلام زوال المرهوب.

هذا وصلوا...

الفهرس

الموضوع..**الصفحة**